المسيرة مع سلطان بن عبد العزيز

من المسؤولية إلى المسؤولية!!

محمد الطريقي

سلسلة العالم الفكرية

حقوق الطبع ©: ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩م **العالِم** للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع
جميع الحقوق محفوظة. غير مسموح بطبع أيّ جزء من أجزاء هذا الاصدار أو خزنه في أي نظام لخزن المعلومات أو استرجاعه، أو نقله على أية هيئة أو وسيلة سواء كانت إلكترونية أو شرائط ممغنطة أو ميكانيكية، أو استنساخاً، أو تسجيلاً أو غيرها، دون الحصول على إذن خطي من صاحب حقوق الطبع.

سلسلة **العالِم** الفكرية
مجلة عالم الإعاقة.. شهرية تصدر عن مؤسسة العَالِم للصحافة

رئيس التحرير المشرف العام: أ.د. محمد بن حمود الطريقي

إدارة التحرير: وصفي الروسان
الإدارة الفنية: أحمد أبو عمر
التنفيذ الفني: شمس الدين عبدالله

الرقم الدولي المعياري: 1319-6510
رقم الايداع: 18/0152

المسيرة مع سلطان بن عبدالعزيز...

من المسؤولية . .
إلى المسؤولية !!

محمد الطريقي

مشروع الخير ..
لسلطان الخير

الإهداء

إلى صادق العهد . . ولي العهد

الأمير سلطان بن عبد العزيز

هذا بعض من ذكريات وفاء

ووفاء ذكريات . .

فاقبلها بين يديك صادقة . .

المحتويات

المشروع الأصعب ١

في مقام الكلمة ١

الهوية الشاملة ١

(صندقة) أصبحت صراطا ١

كما هو «طب الطوارئ».. كنا «عطاء الطوارئ» ١

الحملة.. المسؤولية المجانية!! ١

مع الملك المؤسس.. والأمير المؤسس!! ١

مشاهد في ذاكرة حملة سلطان ١

جمعية و معيلة.. وخطأ طبي!! ١

الرعاية.. أين هي معنا؟! ١

ثقافة بالمجان..!! ١

الحلول الناضجة.. من فكر سلطان ١

اليمن السعيد.. بسلطان العطاء ١

لماذا لا تكون المبادرات من طرفنا ؟! ١

في غرفة الإنقاذ!! ١

يا أم المعاق ١

أطباء نفسيون.. بالفطرة والنهج ١
في نهج سلطان.. «التنمية» وليسمع الجميع ١
الحملة تقطع بطاقة الصعود إلى الطائرة ١
مع رجل وفّى..!! ١
جهود الوطن.. في القارة البيضاء!! ١
جرأة الطرح.. واحدة من دروس سلطان ١
من معادلات سلطان.. التأهيل = الزمان +المكان+ الأفراد ١
«الحملة» بلا جدل.. في مؤتمر الجدل!! ١
مطالبة شرعية بالانطلاق ١
لك يا أمير الخير.. لا لغيرك ١
حساباتنا مع الكبار!! ١
من فكر القائد.. وبفكر الراعي و القدوة ١
حوار الأفعال.. مع صناع القرار ١
سري... ولكن ليس للغاية!! ١
بين المسؤوليتين.. اللهم اشهد أني قد بلغت ١

المشروع الأصعب ...

من أصعب الأمور بل أصعبها على الإطلاق أن تكتب في تاريخ تملؤه الذكريات الجميلة التي تمازج بين الفخر والإنجاز وبين العدالة الإنسانية، وهو ذاته التاريخ الذي لا تنقصه الآلام والمنغصات ومرارة العمل في مشروع تتطلع إليه عين السياسة على أنه مكسب سياسي، في حين تنظر إليه عين التجارة بازدراء على أنه مشروع خاسر! وتتلاحظه عين الاجتماع على أنه مشروع المنصب والسلطة، في حين هو كان بعيدا على مدى أكثر من عقدين من الزمن عن هذه العيون التي ترقبه، بعد أن غابت عين المشروع الإنساني، والفكر الإنساني، وكيف لها أن تحضر في عالم اليوم الذي يزن ثقلك الفكري بحجم قربك من السلطة؟!.. وللحقيقة نحن في مشروع أمير الإنسانية سلطان بن عبد العزيز كنا سلطة ولكنها سلطة من نوع آخر.. إنها السلطة الخادمة.

لقد نفذنا في دار الاستشارات الطبية والتأهيلية ومؤسسة العالم للصحافة مشروعا واحدا على عمر كل

مؤسساتنا، وهو المشروع الذي ولد بيد الخير مشاريع أخرى، ثم تتوأمت كل هذه المؤسسات في ظلال «حملة الأمير سلطان بن عبد العزيز للرعاية الاجتماعية والتثقيف الصحي والتأهيلي» لتضم إضافة لدار الاستشارات الطبية والتأهيلية، ومؤسسة العالم للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع، مجلس العالم الإسلامي للإعاقة والتأهيل، والمركز الوطني للبحوث الإستراتيجية، وغيرها من البرامج والمبادرات، وقد وصل حد التوأمة لانسجام كامل بينها، بل واندماج في مشروع إعلامي وخدمي توعوي وتثقيفي بصفة إنسانية، وبصمة كريمة لسمو ولي العهد أدام الله وجوده.

نعلم وأعلم أن الكثيرين اتخذوا المواقف المختلفة من مشروعنا هذا لأسباب نعلم قليلها ونجهل كثيرها، وهي مواقف منها المشرف الذي مازال محفوظا وسيبقى لرجالاته، ومنها المتحفظ الذي لا يرى النجاح إلا بإمضائه، ومنها الحذر الذي إذا أخفقنا في اجتهاد ما، كالنا لوما، وظهرت قدراته النقدية السلبية في وجهنا، وإذا نجحنا اعتبر نفسه شريك هذا النجاح... ومنها.. ومنها...

إن هذا ليس مقصدنا في هذا الكتاب أو سمّه الكتيب، ولكن مقصدنا فيه لا يخرج عن خمسة لا سادس لها:

أولها: رد الفضل لصاحب الفضل، والاعتراف بالجميل لصاحب الجميل، وشهادة الحق التي لا شريك لنا فيها، وهو سمو سيدي الأمير سلطان بن عبدالعزيز آل سعود حفظه الله وألبسه ثوب العافية.

ثانيها: وقفة حق في تاريخ هذه المسيرة موثقة لم تغزوها دهاليز المصالح والانتفاعات لتغير منها أو فيها.

ثالثها: الرد بلغة الواقع والمنطق والعقل والحيادية على من رأوا في مشروعنا غير البعد الإنساني الخالص.

رابعها: التوثيق لأهل الأرض وشهادة العبيد أمام خالق الكون والأرض، يوم العرض والحساب، لكل من أبت فطرتهم الإنسانية العفيفة إلا وأن يكونوا معنا في هذه المسيرة.

وخامسها: قضية حق، ومناجاة عدل، ونظرة ولي أمر، في تاريخ مسيرة ومشروع بدأ من هذه الأرض

الطاهرة ولم تثنيه بقعة حاجة إنسانية من الوصول إليها.

إنني اليوم أضع هذا الكتاب بين يديكم مؤمنا بأن صوته هادر، وأن مياهه عذبة نقية، وأن الطهر في النية، وأن الخطأ والصواب حالفنا جميعنا، وأن العمل الدؤوب لا توقفه جعجعة، ولا تثنيه عزيمة فاتر، أو همة مثبط، أو دعوة مدعي، فعلى عمر المسيرة لم نطلب التوفيق إلا من الله، ولم نطلب الأزر والعون والمساندة إلا من صاحب المشروع ورائد الفكرة والفكر، بل أننا رفضنا أن يكون في الفكر شركاء، واعتذرنا لكل الدخلاء اعتذار الواثق بالله، ثم بمواقف أمير الإنسانية سلطان الخير.

لقد حاول مشروع الأمير سلطان بن عبد العزيز الإنساني على اختلاف أشكاله: مجلات وحملات وندوات ومؤتمرات وإنجازات ومساعدات وخدمات على اختلاف أنواعها، أن يؤسس لأول مشروع إنساني متكامل الجوانب ومؤسس على البحث العلمي والخبرات الكفؤة فحقق الكمال في ناحية – ونحن لا ندعيه – وشابه نقص أو قصور في ناحية أخرى بغير

عمد أو تقاعس، فما كان.. كان حلما.. ثم أصبح واقعا.. وها هو اليوم تاريخ بين يدي سلطان العطاء.

إن هذا التقديم أو المدخل ليس خطابا ولا برقية عاجلة، إنما هو حقائق عز علي أن أتركها مبعثرة تارة في ذاكرة كل من لمسوا عطاء هذا المشروع، ومشوهة تارة بقصد أو بدون قصد، ورأيت أن أجمعها ليس لي ولا لجيلي، بل للقادمين على ذاكرة الزمان والمكان بعقول جديدة ومتفتحة، بعدما عمهم رخاء الحريات والتعبير عن الذات في ظلال عقيدة واحدة، وقيم واحدة، وموروث واحد.

هذا هو مشروع سلطان الإنسانية.. المشروع الأنقى إلا أنه الأصعب.

في مقام الكلمة...

ما أجعل أن أنتزع من حافظة السنين صورة بوابة الخير التي دخل منها الملك المؤسس المغفور له – بإذن الله – عبدالعزيز إلى رياض الخير، لأطل بها على بوابة الخير في الأمير الإنسان..

لا أنكر تلك الهيبة التي اعترتني وأنا أمد يدي لمصافحته في مكتبه العامر مهنئاً له بنيله جائزة سمو الشيخ راشد للشخصية الإنسانية لعام ٢٠٠٢م، ولكنها هيبة من نوع خاص، ترتبط بقدر مكانته في نفسي، وأنا ممن يعتبر نفسه بأنه أحد رجاله وتلامذته في الإنسانية أولاً، وترتبط بقدر عطائه لمجتمعه وشعبه في المملكة العربية السعودية التي عرفتها من خلال إشرافي العام على المركز المشترك لبحوث الأطراف الاصطناعية والأجهزة التعويضية وبرامج تأهيل المعوقين ثانياً، وبقدر عطاياه للإنسانية في العالمين العربي والإسلامي من خلال رعايته المباركة لمجلس العالم الإسلامي للإعاقة والتأهيل ثالثاً.

هكذا كنت اختصر مشاعر اللقاء دائما مع سلطان

الخير والإنسانية، وأنا أزور مكتبه العامر مرة تلو أخرى، مهنئا تارة بإنجاز، ومباركا تارة بمناسبة، ولكن من الحقيقة أن أذكر أني كنت تارات كثيرة زائر مهمات: بين شافع ومطالب، وبين مدافع و مقارب، إلا أنني كنت في كل هذه المرات أخرج منتصرا لا بفضل شجاعتي أو قوتي في الطرح أو الإقناع، بل بفضل صفح سموه الكريم ورجالاته عن اندفاعي وحماسي غير المبرر!! وتعاونهم معي إلى أقصى درجات التعاون، ومناصرتهم لمشروع سلطان الإنساني الذي رأوه من خلال ما أشرف عليه من برامج للمشروع، سواء في المركز المشترك لبحوث الأطراف الاصطناعية والأجهزة التعويضية وبرامج تأهيل المعوقين، أم في مجلس العالم الإسلامي للإعاقة والتأهيل، أم في دار الاستشارات الطبية والتأهيلية، أم في العالم للصحافة والطباعة والنشر، وحتى في مركز أبحاث الشرق الأوسط للتنمية الإنسانية وحقوق الإنسان الذي أوجدناه ذراع مناصرة لحقوق ذوي الاحتياجات الخاصة وحقوق الإنسانية، لكنه انقلب على مشروعنا ليصبح ذراع اختلاف، نخسر بسببه أكثر المؤازرين دون أن نعلم لهذا سببا.. غير أننا

ولأجل الهدف الأسمى طوعنا المبادئ، وتخلينا عن المسميات، في سبيل نجاح الهدف الأسمى والمشروع الأصعب والأنقى «حملة الأمير سلطان بن عبد العزيز للرعاية الاجتماعية والتثقيف الصحي والتأهيلي».

الهوية الشاملة ...

يقول صلى الله عليه وسلم: (**رأيت قوما من أمتي على منابر من نور يمرون على الصراط كالبرق الخاطف نورهم تشخص منه الأبصار لا هم بالأنبياء ولا هم بالصديقين ولا هم بالشهداء إنهم قوم تقضى على أيديهم حوائج الناس**).

هذه هي إستراتيجية مشروع حملة سلطان، بأهدافها المثلى: تقديم العون والمساعدة لكل محتاج أنى كان وأينما كان في فضاء عالمنا العربي والإسلامي الرحب، فتح الأبواب نحو مفهوم الحياة الفضلى، استمرارية في دعم وتطوير الأفكار والمشاريع الإنسانية، تركيز معمق على الأبعاد الإنسانية المتجهة نحو التثقيف والتوعية والتأهيل، تشجيع ومساندة المبادرات والكفاءات والإبداعات والعمل الجماعي في الدول العربية والإسلامية فيما يتعلق بخدمة المعوقين والمستضعفين، تقدير واحترام كرامة وحقوق الأشخاص من ذوي الاحتياجات الخاصة، تقدير المشاركة الشاملة للأسرة والمجتمع في دعم قضايا ذوي الاحتياجات

الخاصة، تقديم كافة الإمكانات والمساعدات المادية والمعنوية والفنية الكفيلة برعاية شؤونهم وتوفير بيئة التكيف الملائمة لهم كل حسب احتياجه، تقديم الرؤى العلمية والعملية عبر الخطط والاستراتيجيات الهادفة للتوعية والتثقيف والتعاون مع كافة الهيئات ذات الاختصاص، السعي لجمع القدر الأكبر من البيانات والإحصاءات والاستقصاءات للإعاقات بكافة أشكالها الطبية والنفسية والمادية والجسدية، نشر الثقافة التوعوية والإعلام الموجه للاهتمام بهذه القضايا الاجتماعية، تنفيذ المشاريع التنموية الهادفة إلى سد ثغرة الفقر، تأمين مظلة اجتماعية إنسانية كبرى بالمفهوم الجغرافي للعالمين العربي والإسلامي، المساهمة في رسم السياسة الاجتماعية لمفهوم الرعاية الاجتماعية، تقديم المساعدات المالية الطارئة لحالات إنسانية علاجية أو تأهيلية أو تعليمية أو اتصالية، مساندة جهود الجمعيات والهيئات العاملة في مجال الرعاية الاجتماعية في العالمين العربي والإسلامي، تأمين احتياجات ومستلزمات ذوي الحاجة الطبية والتأهيلية وغيرها، وغيرها وغيرها...

(صندقة) أصبحت صراطاً..

لا أدري إلى أين تقودني ذاكرة الخمسين في استلهام الخطى التي سرنا عليها في نهج سلطان بن عبد العزيز، وهو رجل الخطى المتسارعة في الإنسانية، فمفهوم التنمية والتطوير عند سلطان وفي مشروع سلطان بن عبد العزيز يختلف كل الاختلاف عن تنظيرات السياسة والاقتصاد في هذا الإطار، وهو إن يلتقي معها في خطوات مدروسة، إلا أنه يختلف عنها جدا في الانطلاق، ففكر سلطان قائم على تلبية الحاجة التنموية و الإنسانية أولا، ثم التخطيط لمستقبلها ومشاريعها ووضع استراتيجياتها ورؤاها وإمكاناتها والتلجين لها، وهذه سابقة لم يعهد الفكر المعاصر مثيلا لها، لأنها أشبه بحالة الطوارئ التي تستدعي العلاج أولا، وإنقاذ ما يمكن إنقاذه، ثم التفكير بالخطوات القادمة.. وهذا ما فعلناه في مشروع سلطان و«حملة الأمير سلطان بن عبد العزيز للرعاية الاجتماعية والتثقيف الصحي والتأهيلي» مستلهمين خطى سموه فاندفعنا أو قل تهورنا –كلاهما في لغة الإنسانية سواء– في تلبية

النداء إذا ما كان لمعوق أو مسن أو ذي حاجة، باسم مشروع الحملة، وهذا ما يفسر دون أدنى شك لجوء المستضعفين إلى باب سلطان، وحملة سلطان، التي قدمت في بضع سنوات معدودة ما عجزت عنه وزارات كاملة في بعض البلدان، دون انتقاص حق أحد أو التقليل من شأنه.. وكي أكون في صميم الواقع وللتاريخ، فإن «حملة الأمير سلطان بن عبد العزيز للرعاية الاجتماعية والتثقيف الصحي والتأهيلي» وبشهادة شاهد من أهله، حققت في إستراتيجيتها منطلقا ومفهوما جديدا للأداء الإنساني، خرج به من مفهوم التطوع إلى الواجب، ومن مفهوم الاستثناء إلى الأولويات، وكأننا بهذا غيرنا مفهوم جيل كامل عبر الحملة، لا تكلفا بل تأسيسا لكرامة الإنسانية العربية والمسلمة وفي هذا الخدمة الأكبر للدين والإنسانية، وطواعية لأمر إعمار الأرض على هدى وهداية.

الحقيقة التي قد يجهلها الكثيرون أن «حملة الأمير سلطان بن عبد العزيز للرعاية الاجتماعية والتثقيف الصحي والتأهيلي» استندت في انطلاقتها على فكر أمير الإنسانية سلطان، والذي أشار يوما في كلمة

ألقاها نيابة عنه الأمير خالد بن سلطان في افتتاح الملتقى الرابع للجمعية الخليجية للإعاقة إلى ملاحظتين إنسانيتين عالميتين غاية في الأهمية والخطورة في نفس الوقت، تشير الأولى إلى الاهتمام الذي ينصب في المقام الأول على المعوقين خلقيا دون معوقي الحوادث والإصابات والحروب، حيث العالم يعاني جرائم تعويق من صنع البشر، وما برح ضحاياها يعيشون بيننا منذ الحرب العالمية الثانية مرورا بحرب الكوريتين، وحرب فيتنام، ثم مآسي البوسنة والهرسك وكوسوفا وحرب تحرير الكويت وحروب القارة الإفريقية والحرب على أفغانستان والحرب على العراق، وما الجرائم الصهيونية في فلسطين ببعيدة، وها هي مأساة الألغام الأرضية تضيف هما إلى هم، فإحصائياتها مخيفة وأرقامها مذهلة، فتجار الحروب لا يملون ولا يسأمون.. أكثر من ١٠٠ مليون لغم منتشرة في ستين دولة، واحد منها ينفجر كل عشرين دقيقة لتصب جرحا وتشويها وتقتيلا أكثر من ٢٦ ألف نسمة سنوياً ثلثهم من الأطفال، وواحد من كل ثلاثمائة وأربعين نسمة هو مبتور الأعضاء، كما بات للإرهاب يد في ازدياد

المشكلة حدة، ولم تسلم دولة من أذاه ومخازيه... فيما تشير الثانية إلى أنه في كل بلدان العالم تنشط الدولة من جانب، وذوو القلوب الرحيمة من جانب آخر إلى إنشاء المرافق المختلفة العلاجية والرياضية والتأهيلية وغيرها، ولكن قلما احتضنت هيئة أو مؤسسة واحدة كافة المجالات والأنشطة العاملة على حل مشكلة التعويق والمهتمة بها.... والحديث لسموه الكريم.

لقد كان هذا الحديث المنصب على ناحيتي الوضع الإنساني العالمي وتأثرنا به، وتوفر الهيئة الإنسانية الرعوية الأشمل، هو ما بدأه سلطان لا بل قل فكر سلطان قبل طرحه بما لا يقل عن عقدين وأكثر من الزمن.. منذ أن كان المركز المشترك لبحوث الأطراف الاصطناعية والأجهزة التعويضية وبرامج تأهيل المعوقين في بدايته المتواضعة جدا (صندقة) محدودة المساحة ملحقة بمركز التأهيل الطبي بالرياض، صارت فيما بعد اثنتين ثم ثلاثا، واستمر على هذه الحال بدعم من أهل الخير والبر من مواطني المملكة الكرماء وعلى رأسهم الأمير سلطان بن عبدالعزيز، وهنا تقودني الحقيقة لاستذكار دعم المغفور له خادم الحرمين الشريفين الملك

فهد بن عبدالعزيز آل سعود – طيب الله ثراه – دعم الحاكم الحكيم.. ولكن كان واضحا منذ البداية أن واقع المعوقين في المملكة يحتاج إلى نقله نوعية كبيرة، وذلك بعد تقصي أوضاعه بأبحاث واستقصاءات علمية ضمنت نتائجها المبدئية في أدبيات كثيرة، كان أولها كتاب (المعوقون هل أوفيناهم حقوقهم)... ولمسيرة المركز وعنها سيأتي الحديث، ولكن لابد أن أشير أن هذه الصندقة وعت فكر سلطان في الانتشار والتنمية والتطور بذات السرعة التي تحاربنا فيها الأمراض والإعاقات، لذا أطلقت «حملة الأمير سلطان بن عبد العزيز للرعاية الاجتماعية والتثقيف الصحي والتأهيلي» المراكز المشتركة لنشر ومراقبة التأهيل، التي انطلقت من الرياض وبدأت خطواتها في دبي ثم منها إلى اليمن، وهي المراكز الساعية إلى نشر وتحديث وتوطين العلوم والتقنيات التأهيلية والارتقاء بمستوى الخدمات المتعلقة بعلاج وتأهيل ورعاية المعوقين وتطويرها من خلال إجراء البحوث العلمية التطبيقية، وإدخال واستقطاب وتوطين المعارف والتقنيات والأجهزة والمعدات الحديثة ذات العلاقة بالمعاقين،

كما سعت دائما إلى ابتكار الجديد وتقديم الخدمات العلاجية والتأهيلية للمعاقين، و توفير البرامج التعليمية والتدريبية للطلاب والممارسين، وتأليف وترجمة وتعريب أحدث ما يتعلق بقضايا الرعاية الاجتماعية بشكل عام وقضايا الإعاقة بشكل خاص.

لقد مثلت المراكز المشتركة لنشر ومراقبة التأهيل رؤية جديدة لمفهوم التأهيل الشامل نظرا لشمولية هذه المراكز في الأبحاث والدراسات، وتوطين التقنية التأهيلية، والنشر والترجمة، وتقديم الخدمات المساندة بكافة أنواعها لذوي الاحتياجات الخاصة، والمراكز بصفة عامة انبثقت فكرتها من التوجيهات العامة والأهداف الرئيسية لـ « حملة الأمير سلطان بن عبد العزيز للرعاية الاجتماعية والتثقيف الصحي والتأهيلي » فيما يهدف إلى نشر وتوطين العلوم والتقنيات، والارتقاء بمستوى الخدمات المتعلقة بعلاج وتأهيل ورعاية ذوي الاحتياجات الخاصة، وتطويرها من خلال إجراء البحوث العلمية والتطبيقية، وإدخال واستقطاب وتوطين المعارف والتقنيات، والأجهزة والمعدات الحديثة، إضافة إلى ابتكار الجديد في عالم هذه التقنيات.

كما هو «طب الطوارئ».. كنا
«عطاء الطوارئ»..

وقد يسأل سائل عن فوضوية البداية في هذا الكتاب، بين عام وأعوام، وبين تفصيل قبل عنوان، وبين و بين.. وما أكثر السائلين! وهنا أقول أن هذا النسق ليس فوضوي، بل هو عاطفي، يتدفق نحو ذكريات التعب والإنجاز، في «حملة الأمير سلطان بن عبد العزيز للرعاية الاجتماعية والتثقيف الصحي والتأهيلي» وبين سلطان وفكره، وبين مواقفه وتوجيهاته، وبين مواقف رجاله وتوجهاتهم، وبين بينين كثيرة... لكنها عواطف صادقة وواقعية مثبتة في تاريخ الإعلام العربي والإسلامي، وفي صفحات الهيئات والمنظمات الإنسانية والاجتماعية والثقافية وحتى الأكاديمية، وعلى جدران منازل المعوقين والمسنين والمستضعفين، حيث كان دائما هناك في كل مكان من هذا وذاك، إمضاء باسم سلطان وفكر سلطان: في بادرة خير، ومبادرة عطاء، تركت ممهورة باسم «حملة الأمير سلطان بن عبد العزيز للرعاية الاجتماعية والتثقيف الصحي والتأهيلي» التي هي مقصد الحديث هنا..

وإليها وعنها يكون الحديث.

في «حملة الأمير سلطان بن عبد العزيز للرعاية الاجتماعية والتثقيف الصحي والتأهيلي» نقول ببعض من الإيجاز ونفحة من الاختصار، ما رددناه دائما على عمر هذه الحملة منذ تأسيس مكوناتها منفردة إلى انخراطها التام في مظلة الحملة كذراع متخصص بين الإعلام والاستشارات والدراسات والأبحاث وتقديم الخطط والاستراتيجيات والمساندة والدعم المباشر، فنقول: لما كانت الرعاية الاجتماعية بمفهومها الشامل تشكل الهاجس الأكبر لطموحات الأفراد داخل المجتمعات لما تحققه من شعور دائم بالأمن النفسي ومدى ارتباطه بمنظومة الرعاية الصحية والتأهيلية، وحيث أن الله سبحانه وتعالى ابتلى بعض خلقه في أمور دنياهم، جاءت تعاليم ديننا الإسلامي لتدعو إلى التكافل الاجتماعي، ورص البنيان، ليغدو كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، من هنا انطلقت «حملة الأمير سلطان بن عبدالعزيز للرعاية الاجتماعية والتثقيف الصحي والتأهيلي» لتحمل كل معاني البناء المجتمعي القائم

على التواد والتراحم والعطف والأخوة، وأسندت الحملة إلى اسم الراعي المؤسس إيمانا منها بأن الخير يجر في جنباته الخير، وأن العطاء لا يعرف حدودا إذا ما تحرر من قيود المكان، وجعل المكان كله يضئ فجرا دائما لذوي الحاجة، لتشمل الحملة بذلك جميع مؤسسات العطاء الإنساني التي حظيت برعاية صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز.

وسعت الحملة إلى جملة من الأهداف الإنسانية التي يعتبر تحقيقها أو تحقيق جزء منها غاية من غايات البناء المجتمعي السليم الذي يقود هذه الأمة بإطاريها العربي والإسلامي إلى مفهوم الرقي الإنساني، وبناء الغد الأكثر إشراقا، عبر منظومة من الأهداف تتخلص في: تقدير واحترام كرامة الأفراد، والعمل الدؤوب لأجل ضمان صيانة هذه الكرامة وحمايتها عبر توفير أبسط الحقوق المجتمعية في الحياة الكريمة، بما يكفل اعتزاز الفرد بذاته ومجتمعه، ومساندة كافة الجهود الرامية إلى تقديم العون والمساعدة لذوي الحاجة من عجزة ومسنين ومعاقين وغيرهم بكافة أشكالها، وبشتى الطرائق العلمية والأدبية، وتوفير الدعم المادي والمعنوي والفني

لكافة أشكال الرعاية الاجتماعية، وتلبية متطلبات المحتاجين وذوي الفاقة، وتقديم المعونات والأجهزة المساندة، وتأمين الاحتياجات الأساسية الضرورية بما يضمن شعور هذه الفئة بالانتماء لمجتمعها، وتقديم الرؤى العلمية والعملية عبر الخطط والاستراتيجيات والبرامج الهادفة إلى التوعية والتثقيف، والتعاون مع كافة الهيئات ذات الاختصاص، بما يضمن نجاح تنفيذها، وتقنين نتائجها أمام صناع القرار، والسعي الموصول عبر الاستقصاء وجمع الإحصاءات والبيانات الأساسية ومتابعة ورصد البؤر المنتجة للإعاقات بكافة أشكالها الطبية والنفسية والمادية والجسدية والحد منها، واستئصال جذورها في العالمين العربي والإسلامي، ونشر الثقافة التوعوية والإعلام الموجه نحو الاهتمام بهذه القضايا المجتمعية الملحة، عبر توفير الدراسات والبحوث، وبرامج التدريب، وورش العمل والندوات والمحاضرات والمؤتمرات وكافة الأنشطة المرافقة، فضلا عن الإصدارات الموجهة اجتماعيا وإنسانيا، ونشر الكتب والأبحاث والدراسات باعتبارها أنموذجا تثقيفا يولد المخزون الفكري الناضج، والنابض بهذه القضايا

لدى أجيال المجتمعات على كافة مستوياتهم.

كما أن مشروع الحملة سار على نهج سلطان في تنفيذ المشاريع التنموية الهادفة إلى سد ثغر الفقر، ومساندتها بكافة الإمكانات المادية والفنية والمعنوية قبل تنفيذها وأثنائه بما يكفل نجاحها، ومشاركة فئة المعوقين على وجه الخصوص في صناعة مستقبلهم من خلالها، وتأمين مظلة اجتماعية إنسانية كبرى بالمفهوم الجغرافي للعالمين العربي والإسلامي، عبر الوصول إلى كل هذه النقاط المستهدفة في الرعاية الاجتماعية، وتأمين وصول متطلباتها الضرورية إلى صناع القرار، وأهل الإنسانية والخير، سعيا لتأمين احتياجاتها وإحقاق حقوقها.

وقد كرست الحملة جهودها وسخرت كل إمكانياتها لتحقيق أهدافها، كما وفرت كل خبراتها التي اكتسبتها بالجهود العلمية والمشاركات العالمية الفاعلة، نحو تحقيق انجازات ترتبط بهذه الأهداف، عبر المساهمة في رسم السياسة الاجتماعية لمفهوم الرعاية الاجتماعية، و تقديم أطر ومفاهيم جديدة لمصطلحات الإعاقة و التأهيل والتوعية و التثقيف

و الرعاية، وقامت الحملة بنشر هذه المفاهيم بشتى الوسائل المتاحة لها، وعبر كافة الوسائل الإعلامية المقروءة والمسموعة والمرئية.

وعلى جانب آخر، تقدمت الحملة نحو الصميم، فقدمت المساعدات المالية الطارئة لحالات إنسانية علاجية وتأهيلية وتعليمية واتصالية وغيرها، إضافة إلى الهبات المالية والعينية التي تساهم في ترابط كينونة المجتمع وتواصل فئاته الخاصة مع محيطه العام، ومساندة جهود الجمعيات والهيئات العاملة في مجال الرعاية الاجتماعية والإنسانية في العالمين العربي والإسلامي، وقدمت لها دعما ماليا وأجهزة تعويضية، وأجهزة مساندة، وبرامج تأهيلية نفذ الكثير منها في شتى المواقع.

الحملة – أيها السادة الكرام– ساهمت في أوائل المشاريع البحثية والاستقصائية والمسموحات لحالات الإعاقة والفقر في العالمين العربي والإسلامي، وفي صنع مفاهيم الرعاية الاجتماعية، وقامت بنشر الوعي التثقيفي الصحي والاجتماعي والإنساني عبر القنوات الإعلامية التي أتيحت لها والتي أنجزت الحملة فيها

الكثير من المؤتمرات في: اندونيسيا، السودان، لبنان، المغرب، الأردن، سوريا، الهند، نيوزيلاندا، سيريلانكا، قطر، عُمان، البحرين، الإمارات العربية المتحدة، تونس، مصر و السعودية، فضلا عن ورش العمل والمحاضرات والندوات الداخلية والخارجية، حيث تكفلت القنوات الإعلامية من محطات تلفزة وإذاعات وإصدارات صحفية ومجلات، برصد هذه الانجازات وفي مقدمتها مجلة الحملة مجلة «عالم الإعاقة.. منبر الأقوياء» ذات الانتشار الواسع في العالم.

وقامت الحملة ضمن إستراتيجيتها بالمساهمة في تنفيذ المشاريع التنموية الهادفة، وأمنت الحملة مظلة إنسانية اجتماعية من خلال مد جسور التواصل بين ذوي الحاجة وصناع القرار وأهل الخير، عبر عرض مشكلاتهم وطموحاتهم، والسعي لتحقيقها عبر المخاطبة والاتصال، وتوفير كافة القنوات التي تسعى لإنجاز ما يمكن إنجازه منها.

لقد حطت الحملة رحالها في أكبر مشروع إنساني في المنطقة العربية والإسلامية، بما حققته من

إنجازات جعلت القائمين عليها يتطوعون إلى مزيد من الرؤى المستقبلية والطموحات الخاضعة لمعايير الرعاية الاجتماعية السليمة، وكل ذلك دفع الحملة إلى السعي نحو تقنين حقوق المعاقين، وتفعيلها من قبل الحكومات وهيئات صنع القرار، وإخضاعها لواقع ملموس، و توفير المستلزمات المادية الأساسية الضرورية للعجزة والمسنين والمعاقين وذوي الحاجة، عبر تخصيص إعانات دورية منتظمة لهم، وتأمين كافة الاحتياجات والمستلزمات الطبية والعلاجية والتأهيلية، والأجهزة التعويضية لمن يحتاجها فور تطلب حاجته لها دون انتظار لا يحمد عقباه، في إطار ما يمكن تسميته «عطاء الطوارئ».

لقد تبنت الحملة بتوجيه وتوجه الأمير سلطان بن عبد العزيز إستراتيجية عامة شاملة، تحوي منظومة بحثية ومسحية واستقصائية ومعلوماتية وإعلامية ترصد واقع الحاجة، وتتعامل معه بلغة علمية عاجلة، تؤمن الاحتياج في وقته المناسب، وقد توسع إطار الحملة الإعلامية المرافقة للحملة ذاتها، في تعميمها وانتشارها وانتقالها إلى أكثر من لغة خطاب: توعية

وتثقيفا، وسد احتياجات قوائم الانتظار بشتى متطلباتها وعلى اختلافها، بما يحقق مفهوم العدالة الاجتماعية من منظورها الإسلامي القيم، لا التجاري العقيم!

لقد سعت الحملة حتى قبل أن تأخذ مسماها الهيكلي، إلى تقليل حجم الفجوة بين متطلبات قوائمها من ذوي الحاجة وبين إمكاناتها بما يكفل حماية هذه المجتمعات من آفات القهر والفقر والعجز والمرض.

الحملة.. المسؤولية المجانية !!

تكريسا لمفهوم العمل التعاوني والشراكة الإستراتيجية الملحة لإنجاح مشروع الحملة، تضافرت جهود كل من المراكز المشتركة لنشر ومراقبة التأهيل، ومجلس العالم الإسلامي للإعاقة والتأهيل، ودار الاستشارات الطبية والتاهيلية، ومؤسسة العالم للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع عبر إصدارتها «عالم الإعاقة» و«الصحة العربية» و «العالم» لتكون مفردات الحملة بكل معطياتها وبكافة جوانبها البحثية والخدمية والعلمية والإعلامية.

فالمراكز المشتركة لنشر ومراقبة التأهيل التي سبق وأن عرجنا على بداياتها من خلال المركز المشترك لبحوث الأطراف الاصطناعية والأجهزة التعويضية وبرامج تأهيل المعوقين، توجهت نحو نشر وتحديث وتوطين العلوم والتقنيات والارتقاء بمستوى الخدمات المتعلقة بعلاج وتأهيل ورعاية المعوقين وتطويرها، من خلال إجراء البحوث العلمية والتطبيقية، وإدخال واستقطاب وتوطين المعارف والتقنيات والأجهزة

والمعدات الحديثة، وابتكار الجديد وتقديم الخدمات العلاجية والتأهيلية للمعوقين، والبرامج التعليمية والتدريبية للطلاب والممارسين، وتأليف وترجمة وتعريب أحدث ما يتعلق بقضايا الرعاية الاجتماعية بشكل عام، وقضايا الإعاقة بشكل خاص.

لذا سعت الحملة لإنشاء مراكز مشتركة لنشر ومراقبة التأهيل في العالمين العربي والإسلامي، من خلال مساندتها لإنشاء مراكز مستقلة أو مراكز تابعة لجهات حكومية أو غير حكومية، معنية بقضايا الإعاقة والتأهيل، بحيث تشكل منظومة المراكز المشتركة إستراتيجية عملية تعنى بتحقيق أهداف هذه المراكز، وذلك بعدما أنشئ المركز المشترك لبحوث الأطراف الاصطناعية والأجهزة التعويضية وبرامج تأهيل المعوقين في المملكة العربية السعودية كأول مركز مشترك لنشر ومراقبة التأهيل في المنطقة، لذا فإن شعار المركز المشترك لبحوث الأطراف الاصطناعية والأجهزة التعويضية وبرامج تأهيل المعوقين ينبثق من شعار المراكز المشتركة لنشر ومراقبة التأهيل، ويستمد أهدافه وبرامجه ونشاطاته من أهداف منظومة المراكز

المشتركة لنشر ومراقبة التأهيل، مقدما جملة من أنشطة الأبحاث العلمية والمسموحات الميدانية والتعليم والتدريب والخدمات الطبية والتأهيلية والنشر والترجمة والتعريب في مجال الإعاقة وتأهيل المعوقين، والشيخوخة ورعاية المسنين، والمشاركة ضمن إطار الحملة في المؤتمرات والندوات المحلية والإقليمية والعالمية.

أما مجلس العالم الإسلامي للإعاقة والتأهيل والذي أنشئ عام ١٩٩٦ م من أجل التخطيط لاحتياجات المعوقين في العالمين العربي والإسلامي، وبرعاية مباركة من لدن راعي الحملة وصاحبها الأمير سلطان بن عبدالعزيز، فقد حمل معه منظومة أهداف إنسانية تتمثل في الوقاية من الإعاقة، والتدخل المبكر، وتأهيل المجتمع، وتحسين مستوى المعيشة بكافة نواحيها للمعوقين، وتقنين حقوقهم، ودعم قضاياهم في كافة المجالات، وعمد المجلس إلى إجراء الدراسات والأبحاث والتخطيط الاستراتيجي لرعاية المعوقين في العالمين العربي والإسلامي، وأقام مؤتمراته وحلقاته وبرامجه في العديد من دول العالم، وطرح المجلس رؤية

ضرورة الالتزام بإصدار تشريعات وحقوق المعوقين من منظور الإنسان بشكل عام، واعتبر أن تطبيق حقوق الإنسان هو متطلب سابق لتطبيق حقوق المعوقين، وطالب المجلس بضرورة سرعة تنفيذ إصلاحات خاصة في الوطن العربي، بشأن حقوق المعوقين، الأمر الذي دعا المجلس إلى المصادقة على إعلان بيروت المتمثل في اتفاقية دولية شاملة متكاملة تهدف إلى تعزيز وحماية حقوق المعوقين وصون كرامتهم.

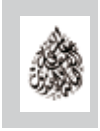

وساند المجلس من ناحية أخرى على مدى أكثر من عقد من الزمن، إنشاء اتحاد عربي أفريقي، أكد فيه على أهمية التأهيل والبناء النفسي للمعوقين، وبين المجلس وجهة نظره من أي مؤتمر تأهيلي يشارك فيه عبر التصريح بهدف المشاركة نحو بناء إنسانه، وطالب المجلس بضرورة تحويل حقوق وتشريعات المعوقين من ورق إلى واقع في جميع أنحاء العالم، وفي الوطن العربي على وجه الخصوص.

كما لبى المجلس في مسؤولية تامة الدعوات الموجهة إليه للحضور والمشاركة في لقاءات المساهمة الفاعلة لإيجاد وتوفير وتصميم الآليات اللازمة لتطبيق

القوانين واللوائح والأنظمة الخاصة بقضايا وشؤون المعوقين، والتي أقرت وصودق عليها من حكومات الدول العربية، وشدد المجلس في كل ثغر على أن تطبيق هذه القوانين و تفعليها هو التمهيد الضروري الأساس لإقرار الاتفاقية الدولية لحقوق المعوقين وتبنيها من قبل الدول العربية، مؤكدا على ضرورة تناسبها مع تعاليمنا الإسلامية وتقاليدنا المتوارثة.

لقد أشار المجلس وأكد في أكثر من موقع ومناسبة إلى ضرورة ربط الاتفاقية الدولية بمشروع دعم مادي وتقني للدول النامية، وأكد على ضرورة تذليل كافة العقبات البنيوية والمؤسسية والتشريعية والإجرائية التي من شأنها تداعي فرص حق النمو والتطور لمجتمعات الدول النامية، ونوه بضرورة نشر الوعي التأهيلي بمفهومه الشامل وزيادة الوعي عند الأشخاص المعوقين أنفسهم، ليتمكنوا من إيجاد آليات ضغط مباشرة في مجتمعاتهم للمطالبة بحقوقهم المشروعة في الموارد والتنمية والخدمات، وإتاحة الفرص المناسبة لهم.

وعن المجلس بقي أن نقول أن جميع مشاركات المجلس المحلية والإقليمية والدولية في إطار الحملة،

كانت تصاحب دائما بمعارض تشارك فيها كافة هيئات الحملة بالكتب والمطبوعات والمنشورات التوعوية والتثقيفية والعلمية والبحثية وتقدم مجانا إلى جميع زوار المعارض بهدف تعميم الفائدة... وهنا أضع خطين تحت كلمة (مجاناً) فهذه هي السياسة التسويقية لمشروع الحملة النقي من حسابات المكاسب!

وجاءت دار الاستشارات الطبية والتاهيلية والمركز الوطني للدراسات الإستراتيجية لتقديم العديد من الاستشارات، من مثل التوصية بمستوى الإمكانات العالمية في المجال، وتقديم توجيهات للآباء والأمهات، وتقديم الاستشارات للجهات التي تعنى بأمر المعوق، وتقييم المشاريع، إضافة إلى الاستشارات الفنية للمؤسسات الحكومية والأهلية.

واعتبرت دار الاستشارات الطبية والتاهيلية من خلال تركيبتها داخل مكونات الحملة، الجهة المعنية بإنشاء الدراسات والتخطيط، وتقديم المعونة الفنية لمراكز التأهيل ودور الرعاية المتخصصة بقضايا الإعاقة.

أما قناة الحملة وصوتها إلى كافة أنحاء العالم «مؤسسة العالم للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع» عبر إصدارتها من مجلات «عالم الإعاقة» و «الصحة العربية» و «العالم» فقد شهد عام ١٤١٨هـ الموافق ١٩٩٨ م صدور العدد الأول من مجلة «عالم الإعاقة» بتعاون وإشراف مباشر من مجلس العالم الإسلامي للإعاقة والتأهيل، أحد أهم مكونات «حملة الأمير سلطان بن عبدالعزيز للرعاية الاجتماعية والتثقيف الصحي والتأهيلي»، وبدأت هذه المجلة تحمل بين طيات صفحاتها أنموذجاً إعلامياً متخصصاً ورائداً في نقل مفاهيم الوقاية من الإعاقة وكيفيات التعامل معها، وطرق علاجها وتأهيلها، ونقل كافة العلوم والمعارف والتقنيات الحديثة المتعلقة بها، وقد نهجت في ذلك نهجا توعويا يميل إلى التثقيف وبناء قواعد أساسية في جميع المفاهيم والمعارف المتعلقة بالإعاقة والتأهيل.

وفي الجانب الآخر رصدت المجلة نماذج المعاقين من خلال توفير منبر إنساني لهم يعبرون فيه ومن خلاله عن احتياجاتهم وقضاياهم، إضافة إلى ما دأبت عليه المجلة في رصد حالات الإبداع والتميز عند المعاقين

والتعريف بها، لتغدو المجلة بذلك منبرا لهؤلاء الأقوياء في نفوسهم، مما حدا بنا إلى إضافة عنوان منبر الأقوياء اكتمالا للدائرة الإعلامية الإنسانية.

ومنذ عام ١٤٢٢ هـ الموافق ٢٠٠١ م صدر العدد الأول من مجلة «الصحة العربية» التي نهجت نهجا صحيا شاملا في تقديم كل ما هو مفيد وجديد، وتابعت على مدى ما يقرب إلى العقد من عمرها كافة المستجدات العالمية في مجالات الصحة والبيئة والأسرة، وسعت إلى تقديمها بأسلوب صحفي متميز، يتنوع في تداعيات طرح هذه القضايا بين الخبر والنصيحة العلمية، والاكتشاف والدراسة والبحث، وتقديم المعلومة الموثوقة، والتحقيق، واللقاءات، والتعليقات العلمية الموضوعية.

ودأبت المجلة على الدخول إلى عالم الطب بما في ذلك الطب البديل، ورفعت عددا من الشعارات الصحية التي كان أولها «الغذاء لا الدواء» وطرحت موضوعاتها وفق مساهمتها في تعزيز ثوابت اجتماعية، تبدأ بالطفل وتنتهي بالأهل، وفتحت أبوابا للتواصل مع قضاياها المجتمعية الملحة القانونية والاجتماعية والنفسية.

وباعتبارها من مكونات «حملة الأمير سلطان بن عبدالعزيز للرعاية الاجتماعية والتثقيف الصحي والتأهيلي» وأحد أهم أذرعتها الإعلامية، تبنت «الصحة العربية» الجانب التثقيفي فيما يتعلق بقضايا الرعاية الصحية لهذه الحملة المباركة، فأخذت ترصد وتنقل وتوطن، بل وتصنع كل ما من شأنه تحقيق مفهوم الأمن الإنساني عبر الأمن الصحي، وطالبت بوضع استراتيجيات للتأمين الصحي على المستوى العربي بشكل عام، و مثلت «الصحة العربية» قناة التثقيف الإعلامي الصحي لهذه الحملة.

أما مجلة «العالم» فهي مجلة ذات رؤية فكرية خاصة للقضايا العربية والعالمية ودعم الموهبة والإبداع، تؤمن بالطرح الجاد وتسعى لتناوله عبر أكثر من وجهة نظر، وهي مجلة جامعة، صدر أول أعدادها في عام ١٤١٩ هـ الموافق ١٩٩٨ م، ومنذ صدروها وحتى اليوم وهي تحظى باحترام جمهورها القارئ لما تنتهجه من سياسة إعلامية ملتزمة بقضايا التنمية والنهضة العربية الشاملة في كل المجالات العلمية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وغيرها.. وهي

تنظر إلى العقول العربية المفكرة، بوصفها منارات يجب أن تضاء، وتساهم في كل ما من شأنه الارتقاء بفكرنا العربي، لذا فهي توليهم اهتماما خاصا، وترصد كافة إمكاناتها الإعلامية للتعريف بمنجزاتهم، ورعاية فكرهم، الذي يساهم في بناء حضارة لمستقبل أفضل.

هذه هي الحملة باختصار، وباختصار آخر لمكوناتها، وقد أسهبت الكثير من الأدبيات في التعريف بها، لذا آثرت أن يكون التطرق لها من باب الذكر لا أكثر، تعريفا وتذكيرا، لا تاريخا.. فالتاريخ أكبر من كل مساحات هذه الأوراق.

مع الملك المؤسس ..
و الأمير المؤسس !!

عندما تناول د. راشد البازموضوع الرعاية الاجتماعية في عهد الملك عبدالعزيز، أشار إلى أن هذا الموضوع لم يحظ بالبحث والدراسة، بالرغم من وجود الرعاية الاجتماعية في عهد الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود، مؤسس المملكة العربية السعودية، وغارس نهضتها، حيث كانت تلك الرعاية بمثابة حقوق المحتاجين للرعاية، والمستمدة من الشريعة الإسلامية، واتصفت بعدم تقيدها بالأطر التقليدية الحديثة، والتي تقصر الرعاية على فئات محددة كالمسنين والمعوقين والأيتام و الأرامل، بل اتصفت بالشمولية، ولم ترتبط بوفرة اقتصادية، بل كانت في وقت عانت الدولة فيه من شح في الموارد الاقتصادية، وصعوبات في الاتصال والمواصلات.. لكن ذلك لم يمنع الملك عبدالعزيز من تقديم الرعاية الاجتماعية بمفهومها الشامل، حيث قام الملك عبدالعزيز – طيب الله ثراه – بتأسيس أول نظام مقنن لتوزيع الإعانات في عام ١٣٤٧ هـ ١٩٢٨ م كان من أبرز غاياته: إعانة الفقراء والمساكين وأبناء السبيل،

وفتح الملاجئ والمطاعم والمدارس والمستشفيات، ونشر الدعوة الدينية والعلم والتهذيب الإسلامي، وأعمال البر والإحسان.. واتصفت الرعاية الاجتماعية في عهد الملك عبدالعزيز بخصائص العدل والمساواة، والدمج بين المساعدات العينية والمالية، وسهولة طلب الرعاية، واستمرارية المساعدات ونموها، وتلمس حاجة الناس.. ويخلص د. الباز إلى نقاط مفصلية في سمات هذه الرعاية في ذلك العهد تكمن في: أهمية التوقيت، و سهولة الاتصال، وتقديم الرعاية للمسلمين والمحتاجين من خارج المملكة، و اللامركزية في طرق تقديم المساعدات تسهيلا على المحتاج وسرعة في تلبية طلبه.

يأتي هذا الحديث عن سيرة المغفور له بإذن الله الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن، على سبيل المقاربة بين مشروع الرعاية الاجتماعية الأصيل في هذا البلد الآمن، وبين مشروع الحملة التي لا أريد المبالغة بالقول أنها امتداد لفكر المؤسس، إنما استلهام من فكره بأسلوب حديث وابتكار غير نمطي.. استلهمناه من فكر سلطان بن عبد العزيز آل سعود الأمير الابن الإنسان، وذلك

عبر النقاط الجوهرية والمفصلية التالية:

أولاً: اتصفت الرعاية الاجتماعية في عهد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود –طيب الله ثراه– بكونها بمثابة حقوق المحتاجين للرعاية والمستمدة من الشريعة الإسلامية، واتصفت «حملة الأمير سلطان بن عبد العزيز للرعاية الاجتماعية والتثقيف الصحي والتأهيلي» بالتركيز على حقوق المحتاجين وطالبت في أكثر من مقال ومقام بتقنينها وتفعيلها، وفي مقدمتها نظام رعاية المعوقين والمجلس الأعلى لشؤون المعوقين، باعتباره منطلق الرعاية المستمدة من الشريعة الإسلامية السمحاء، إضافة إلى مطالباتها الدولية في مختلف المحافل بتفعيل ومراقبة العهود والوثائق والاتفاقيات الدولية الخاصة بشؤونهم.

ثانياً: اتصفت الرعاية الاجتماعية في عهد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود –طيب الله ثراه– بعدم تقيدها بالأطر التقليدية الحديثة، فيما انتهجت الحملة أطرا خاصة بكينونتها لم تخضع لروتين قاتل، أو معاملات استجداء! فقد كان توجيه الأمير سلطان بن عبد العزيز دائما تقديم العون العاجل في إطار

واحد: هو إطار الإنسانية بمفهومها الواسع.

ثالثاً: اتصفت الرعاية الاجتماعية في عهد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود –طيب الله ثراه– بعدم اقتصارها على فئات محددة كالمسنين والمعوقين والأيتام و الأرامل، بل اتصفت بالشمولية.. و في هذا ما يشير بكل وضوح وصراحة إلى نهج حملة سلطان التي لم تقتصر على فئة محددة، فشملت المسنين والمعوقين والأيتام والأرامل والمرضى والفقراء، وتصدت لإعاقات العصر على كافة أشكالها دون حسبة إلا حسبة مرضاة الله.. هكذا يفكر سلطان.

رابعاً: لم ترتبط الرعاية الاجتماعية في عهد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود –طيب الله ثراه– بوفرة اقتصادية، بل كانت في وقت عانت الدولة فيه من شح في الموارد الاقتصادية وصعوبات في الاتصال والمواصلات.. أما حملة سلطان فهي وإن وجدت الدعم الدائم غير منقطع النظير من صاحبها وحامل اسمها، إلا أنها قدمت دعمها دائما دون أن يلمس أي كان ضيقا في ميزانيتها أو مواردها، رغم ما عانت من العقبات والأزمات أمام كثرة الطلبات التي اهتمت

بها، وأمام ثقة الكثيرين من ذوي الحاجة بها لا بغيرها، وتلمسهم لعطائها دون الوقوف بباب البيروقراطيات التي فرضت لغير شؤونهم وتمادت في شؤونهم!

خامساً: اتسمت الرعاية الاجتماعية في عهد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود –طيب الله ثراه– بخصائص العدل والمساواة... وإن كانت شهادتي بحق الحملة مجروحة بل مصابة في مقتل بصفتي كنت المشرف العام عليها، إلا أننا نهجنا بتوجيه سموه الكريم، نهج العدالة ما أمكن، والمساواة بقدر المستطاع في الزمان والمكان، بالجنس والجنسية، بالسن ومقدار الفاقة، وأخيرا بالحجم والثقل!!

سادساً: انتهجت الرعاية الاجتماعية في عهد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود –طيب الله ثراه– الدمج بين المساعدات العينية والمالية.. والحملة إن سارت على النهج ذاته، فقد تخصصت وتعمقت لتكون المساعدة بطبيعة مالية وعلاجية وتأهيلية وتوعوية وتثقيفية و طبية وعملية وعلمية وإغاثية بمفهوم الإغاثة الشامل.

سابعاً: اتسمت الرعاية الاجتماعية في عهد الملك

عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود –طيب الله ثراه– بسهولة طلب الرعاية... ونحن في الحملة لم نغلق أبوابنا، فاستقبلنا المعاقين ليلا قبل النهار، ولم تدخل دفاتر وتقنيات إثبات الحضور والغياب إلى مكاتب أو مؤسسات الحملة، ولم يغلق لنا باب، ولم توصد نوافذنا، ولم نسخر بطانة للوصول إلينا، فكان الزائر يحتار بين المحتاج وبين ممثل الحملة، لولا بعض ملامح هذه الحاجة على وجه صاحبها أو في أحد أطرافه!

ثامناً: اتسمت الرعاية الاجتماعية في عهد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود –طيب الله ثراه– باستمرارية المساعدات ونموها.. و الحملة وعلى مدى مسيرتها لم تأخذ إجازة من العطاء، ولم تعتذر لنداء، بل استمرت رغم ظروفها المادية الصعبة، في فترات عديدة والتي كان سلطان الخير واقفا لها، مساندا بلا كلل أو اعتذار، فلغة الاعتذار لا هي في قاموس سلطان الخير ولا قاموس الحملة، أما نمو هذه المساعدات، فقاطرات الخير التي توجهت برا وجوا إلى المحتاجين كانت كل مرة تشهد الزيادة لا النقصان، وكانت تتسع رقعتها كل يوم لا بل كل ساعة.

تاسعاً: اتسمت الرعاية الاجتماعية في عهد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود –طيب الله ثراه– بسعيها الدائم لتلمس حاجة الناس.. والحملة في وثائقها ما يؤكد نهج تلمس الحاجة، بين ذراع إعلامي حمل احتياجاتهم، وبين دراسات واستقصاءات وإحصاءات تقدمها المشروع الوطني لأبحاث الإعاقة والتأهيل وإعادة التأهيل داخل المجتمع الذي شمل المسح الميداني فيه عينة ضمت ١٠٢٣٢ أسرة، والذي وضع أول وأصدق خارطة للمعوقين داخل المملكة بكل فئاتهم وحالاتهم، إضافة إلى تصميم ما يتناسب وهذه الاحتياجات التي سبق رصدها وتلمسها، من مثل التنشيط الكهربي لوظائف العضلات المشلولة الذي يمكن المشلول المصاب بعطب بالحبل الشوكي من الجلوس و الوقوف والمشي، ومنظومات الإجلاس المخصص لشديدي الإعاقة لتجنبيهم المضاعفات الناشئة عن ملازمة الفراش، وتمكينهم من التنقل والمشاركة في الحياة العامة.

عاشراً: اهتمت الرعاية الاجتماعية في عهد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود –طيب الله

ثراه– بأهمية التوقيت.. وهذه الأهمية كانت القشة التي قصمت ظهر العطاء في مراحل معينة!! دون أن تنتقص من قيمة الإنجاز أو النجاح شيئا –والحمد لله– فتوفير الإعانة المطلوبة، أو المساندة المأمولة في وقت حرج، كان يتطلب منا الاجتهاد كثيرا، وهو اجتهاد صعب بين ما يتوفر وبين المطلوب، بل وهو الذي أدى بالحملة إلى انتهاج مسارات مالية معقدة الحسابات: بين استدانة واقتراض، كان عزاؤنا دائما فيها نبل الهدف، وفرحة المحتاج الذي لا يعلم من أين وكيف أتينا بها، لكننا كنا دائما على موعد مع سلطان الخير لفك عسيرها، كما نحن على موعد معه الآن، بثقة تزداد بسلطان الخير ورجالاته الأوفياء.

حادي عشر: اتسمت الرعاية الاجتماعية في عهد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود –طيب الله ثراه– بسهولة الاتصال.. والحملة لم تترك قناة اتصال لتقديم عون أو قضاء حاجة إلا وسلكتها: خطابات وشفاعات، علاجا وتأهيلا، بل أنها جندت لذلك مكاتب خاصة و موظفين دائمين ومندوبين في كل متسع، و ما واردها وصادرها بلغة الأرقام إلا دليل على

ذلك، وفي كل وثيقة دليل.

ثاني عشر: اتسمت الرعاية الاجتماعية في عهد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود –طيب الله ثراه– بتقديم الرعاية للمسلمين والمحتاجين من خارج المملكة.. وهنا في الحملة وبرامجها وأنشطتها ما يطول به وعنه الحديث، وما أدبيات الحملة التي ظنها البعض تمجيدا لإنجاز أو شخصية، إلا تاريخا لهذه السمة، باجتهاد أقلام من تلقوا العون لا أقلامنا.. ولا عتب لنا في ذلك، فكثير ما يظن البعض في التاريخ على غير ما به!!

ثالث عشر: اتسمت الرعاية الاجتماعية في عهد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود –طيب الله ثراه– باللامركزية في طرق تقديم المساعدات تسهيلا على المحتاج وسرعة في تلبية طلبه.... ولا أدري إن كان في ذلك تكرار لما قد سبق الذكر، ولكني آثرت ذكر هذه السمة منفردة انسجاما مع ما تفرد به أمير الحملة عندما جعلها بقنوات متعددة، ونظمناها اجتهادا على شكل مكونات ومؤسسات، لكل دوره ووقته، حسب ما سبق وجاء ذكر ذلك في مواقف سابقة.

وبعد، هذه بعض من نقاط التقاء مفصلية بين صاحب المجد وفكره، ووارث المجد ونهجه، كنا في « حملة الأمير سلطان بن عبد العزيز للتنمية الاجتماعية والتثقيف الصحي والتأهيلي » وعينا لها فأطرناها بما يتناسب وظروف المرحلة ليلتقي النهجان.. وما هذا الشبل إلا من ذاك الأسد، فسلطان الخير كما وسبق لي أن أسهبت في طرح فكره، وعبر مسيرة عمرها يتخطى عقود السنين ربطتني بسموه الكريم في أكثر من محفل ومعلم، لا يمكن للكلمات أو السطور أن تختصر عمر هذه المسيرة خاصة وأن بها لحظات ومشاعر تفوق الوصف على مقاعد التأهيل والرعاية التي شملها سموه في ملامح مسيرتي الإنسانية، وصار أي مشروع إنساني يرتبط نجاحه بمدى ارتباطه بسموه، وهذا بعينه هو الوصف الحقيقي لخلاصة تجربتي مع سموه في مسيرة العطاء الإنساني، وأنا شخصيا أكدت وأؤكد أنه عندما تحين لحظة الكتابة عن سلطان، فإن ذاكرتي تأخذني إلى أول دعم تلقيته من سموه الكريم، لتبدأ انطلاقتي في العمل الإنساني من أجل المرضى والمعوقين والعجزة والمسنين وذوي الحالات الخاصة في

المملكة العربية السعودية والعالمين العربي والإسلامي، ثم تمر بي هذه الذاكرة إلى المركز المشترك لبحوث الأطراف الاصطناعية والأجهزة التعويضية وبرامج تأهيل المعوقين بالرياض، فمدينة سلطان بن عبدالعزيز للخدمات الإنسانية، ومنها إلى «حملة الأمير سلطان بن عبدالعزيز للرعاية الاجتماعية والتثقيف الصحي والتأهيلي» بكامل مكوناتها، وإذا ما كان الحديث عن شخصية سموه الكريم، فلنا أن ندرك حقيقة الشمولية في هذه الشخصية التي قرأت فيها خلال تجربتي مع سموه التي كان هو محركها الرئيس ودافعها المركزي ومحورها الأساسي، ما لم يقرأه غيري ومن المؤكد أن البون شاسع.. بين من يقرأ عن شخصية أو حالة، وبين من يعايشها... وهذه النقطة بالذات هي مصدر قوتي وبراءتي في نفس الوقت مما قد تظن به النفوس الضعيفة.

إن الحضور الإنساني في شخصية سلطان بن عبدالعزيز الذي يلمسه الجميع من خلال عمق رؤيته، يتمثل باطلاعه على ممتلكات العالم الإنسانية، وهي رؤية لا تنحصر في الاطلاع بل تتعدى إلى النقل

فالتوطين فالتطويع فالتطوير في مجال الأداء الإنساني، لتلتقي مع فكر سموه الذي يعتمد على الكفاءة في اختيار الإنسان والآلة، لتحقيق الهدف الإنساني المنشود، ومن زاوية أخرى وبالنظر إلى قلائد وانجازات سموه يمكن أن يأتي طرح التدبير الإنساني في جوانبه العلمية والعملية كأساس تتمحور حوله شخصية سموه الإنسانية، ومنبع هذا التدبير إيمان سموه العميق بضرورة توافر العوامل والبيئات المحافظة على السلام والأمن والاستقرار باعتبارها الغايات الثلاث وفق نظام المرجعية الإنسانية وتسلسلها، وبما يمثل المفهوم الإنساني العالمي الذي هو غاية سامية من غايات سموه، ولأجلها يوجه ويرعى ويساهم بالفكر والعطاءين المادي والمعنوي من أجل الوصول إلى الصورة الإنسانية الراقية التي تتسم بشمولية الإنجاز، بدءا من التخطيط ومرورا بالآليات والاستراتيجيات وانتهاء بتحقيق الأهداف، ولما كانت التنمية هي المطلب الوحيد الذي يلتقي العالم حوله على اختلاف أجناسهم وأعراقهم وانتماءاتهم وحتى ايدولوجياتهم الفكرية واللغوية، فإن سموه الكريم بادر إلى تشجير معطيات مكوناتها

بما رسخه من ثوابت الانجازات في معالم واضحة، وبتقديري أن حسن التوجيه والتدبير قد يكون أهم ما يميز شخصية سموه الكريم الإنسانية، فهو المدرك أن طاعة المحبة أفضل من طاعة السلطة، فغدت كل بؤرة تهدد الإنسانية همه الوحيد الذي يتملك تفكيره، فيجند لها كل إمكانية في سبيل تذليل صعابها برؤية الأمير الإنسان، وهنا تأخذني الذاكرة بلا استئذان إلى تجربتي مع سموه الكريم في اليمن الشقيق، حيث كانت هداياه التأهيلية للمعوقين الفقراء في اليمن مرحلة عطاء إلى كل يمن.. فسلطان و إن كان سعودي الولاء والانتماء إلا أنه عالمي الإنسانية والتوجه.

لقد ذكرت قبل مرة وكتبت مرات، أن الحقيقة التي يقر بها الجميع في سلطان الإنسانية هي ما اكتسبته شخصيته الفذة من آليات التنميط المنهجي في العطاء التي لا ترتبط بوقت أو زمن، أو يحدها حد أو يقف بها سقف الاستدلالات، وهي التركيبة الأصيلة وسمّها الوصفة السحرية – لو شئت – لفكر «حملة الأمير سلطان بن عبد العزيز للرعاية الاجتماعية والتثقيف الصحي والتأهيلي» فسموه دائب التفكير والتخطيط

بما وهبه الله من مرجعية فذة وذاكرة قوية، إلى اتخاذ نمط منهجي في العمل الإنساني، يقوم على المؤسسية في التكوين والتدريب، و مأسسة البرامج والمشروعات، كي تتخذ بعدا أكبر من مجرد طرحها كنظريات، وهذا البعد الذي قلما يجتمع مع إرادة التكوين في شخصية ما، اجتمع لسلطان، ومنه اكتسب سموه صبغته الخاصة في العطاء الإنساني التي قادت إلى اعترافات وجوائز عالمية، ولعل أكثر ممتلكات سموه ندرة على المستوى العالمي هي المثاقفة الإنسانية، التي ينبع فكرها من معطيات الاستدلال بالسلام والعدالة الإنسانية، وسموه بإدراكه لتنوع الثقافات الإنسانية غدت المثاقفة همّ سموه.. وبهذا النهج الذي أسسه سلطان واختص به، صار الأمير المؤسس.

عندما نال الأمير سلطان بن عبدالعزيز جائزة الشيخ راشد للشخصية الإنسانية لعام ٢٠٠٢، صرحت يومها لأحد الوسائل الإعلامية فقلت: «أن تقف لتعبر من خلال قناعاتك الشخصية عن طبيعة النفس البشرية وطموحها الدائم شيء عادي، ولكن غير العادي أن تعبر عن شخصية لا تطمح بالإنجاز بقدر طموح الإنجاز

ذاته لها، ولا تعشق الفوز بقدر ما يعشقها الفوز ذاته، ولا تسعى لتحقيق مرادها الإنساني بالمنافسة، فالتفرد هو سمتها الرئيسية، ويصعب على هذه الشخصية أن تتحدى ذاتها، لأنها تلتقي هي وذاتها في هدف واحد وتتحدان من أجله، وأخيراً لا تسعى لنسج صورة من صور الجمال الإنساني، فهي في صميمه وقد احتوته واحتواها، كيف لا وهذه الشخصية هي شخصية أمير الإنسانية سلطان بن عبدالعزيز ».. وهنا يهمني أن أعيد في هذا الكتاب نص التصريح لا على سبيل التذكير بل على سبيل الاستشهاد برؤية الحملة، التي اتخذت سلطان منهجا ومدرسة بكل تجرد، لتكون من خلال مؤسسات عريقة علمية وإعلامية وبحثية وخدمية وتأهيلية.

نعم هذه المدرسة التي حملت على سبورة أحد فصولها شكر ودعاء نهلة ابنة الشام ذات السبع سنوات، بعدما قام الفريق الطبي الفني بالمركز المشترك لبحوث الأطراف الاصطناعية والأجهزة التعويضية وبرامج تأهيل المعوقين بالرياض أحد مكونات الحملة بتركيب أطراف اصطناعية مزدوجة الطرفين لها تعمل

بالكهرباء...

وفي فصل آخر في السعودية يشرق وجه **دغيم** الذي استجبت لندائه الموجه على منبر الحملة الإنسانية...

وفصل آخر فيه تفاصيل الامتثال لتوجيه سموكم الكريم بالانتقال بالفريق الطبي الكامل ليكون في حضرة الطفل المعوق **ناصر** بإحدى قرى محافظة الخرج..

وآخر فيه تضرع **زكريا** ابن المغرب العربي وابن الخامسة من عمره الذي لبت الحملة نداءه بتركيب يد اصطناعية كهروعضلية...

وآخر و آخر لا الذاكرة تسعفني به ولا مجال لحصره هنا... لكن الوثائق تؤسس التاريخ، بل هي التاريخ بحد ذاته.

مشاهد في ذاكرة
حملة سلطان..

يسأل سائل من بعيد عن مقومات تميز الحملة؟ وعن سبب تسخير مؤسسات كاملة وطاقات علمية لمشروعها؟ وعن ارتباطها بكل مؤسسة؟ وعن ماهية مواردها؟ وعن مصروفاتها؟ وعن رموزها؟ وعن معوقاتها؟ ومحطاتها؟ و.. و..

في حين يسأل سائل آخر ولكن من قريب عن توقف الحملة؟ وتداعياتها؟ وأسباب اتخاذها لأشكال معينة في الطرح؟ و عن دوري وأهمية عمري العلمي والعملي الذي أنفق فيها ولأجلها؟ وعن.. عن لا شيء!!.. فالبعض يسأل لأجل السؤال ليس إلا.

عندما وصفت الحملة بالمشروع الأصعب في بداية هذا الكتاب.. كنت أقصد الكلمة لذاتها دون أي تأويل، فهي المشروع الأصعب في التحقيق، والإنجاز، والعقبات، والأصدقاء اللدودين، و العقليات المتخلفة، والتجارية، وسنوات العمل والتعب والإرهاق والهم، فالحملة ليست مشروعا سياسيا ينتهي إلى كسب مواقف، أو إعلاميا صرفا ينتهي بإنشاء قناة فضائية

للغث والسمين، أو تجاريا ينتهي بمعادلات الربح والخسارة.. إنها مشروع إنساني وطني، مشروع مؤمن بلا نفاق، و متيقن بلا شك.

مشاهد تختزنها الذاكرة، وأصر على أنها من وحي الذاكرة لأني لا أريد إعادة التدوين والتوثيق للحملة بمكوناتها، فكما أشرت أشبعت أدبياتها، ولكن الذاكرة تفرض محطات هامة فيها إجابة لا على الأسئلة الصعبة بل على المشروع الأصعب.

جمعية ومعيلة.. وخطأ طبي!!

هذا مشهد يأخذني إلى الجولة التفقدية التي قامت بها الحملة في محافظة السويداء في الجمهورية العربية السورية، للاطلاع على واقع الإعاقة والمعوقين في المحافظة، من خلال تنفيذ عدد من الزيارات الميدانية إلى جمعيات وهيئات الرعاية لهم، ولأماكن سكنهم للتعرف على واقعهم واحتياجاتهم ومشاكلهم ووضعهم المعيشي وبيئتهم بصورة عامة.. إلى جمعية الوفاء للمعوقين بالسويداء حيث يستخدم رئيس الجمعية منزله بصفة مؤقتة مقرا للجمعية، يلتقي فيه

أعضاء الهيئة الإدارية للجمعية، وعددا من المعوقين، ويقومون بإدارة أعمال الجمعية والتخطيط والإشراف من هناك، و الجمعية تعتمد في مصادر تمويلها بالدرجة الأولى على رسم الانتساب والاشتراك، إضافة للوصايا والهبات والحسنات، وهي تهدف إلى دمج المعاق في الحياة الاجتماعية، وتأمين عمل خاص للمعوقين بما يتناسب مع إعاقاتهم، وتأمين المستلزمات الطبية التأهيلية لهم، إضافة للأطراف الاصطناعية والأجهزة التعويضية والكراسي المتحركة.

ويأخذني المشهد ذاته إلى المعاقة مها عزالدين من أعضاء جمعية الوفاء للمعاقين، والمصابة بشلل نصفي، حيث تسكن في منزل قديم يحتاج إلى الترميم، ولا يملك أدنى مقومات السكن والمعيشة، وهي المعيلة الوحيدة لنفسها، حيث تعمل في الحياكة والتطريز من أجل توفير المال اللازم لمعيشتها ووالدتها، راضية بأدنى الأجور في عملها مقابل توفير المستلزمات الضرورية والمعيشية لها ولوالدتها.

إلى الطفل المعوق ماهر أبو شاهين المصاب بحثل عضلي، وأمنيته الوحيدة كرسي متحرك!!.. إلى ذلك

الطفل الذي يعاني من عطب في الضفيرة العضدية نتيجة شد الطبيب من ذراعه ساعة الولادة!!

الرعاية.. أين هي معنا؟!

مشهد آخر يأخذني يوم تكريمي في مأدبة العشاء السنوية الخامسة عشرة التي أقامها نادي النخبة بالرياض الذي يعد فرعا من منظمة التخاطب العالمية تحت رعاية البنك السعودي البريطاني رغم أنه منظمة عالمية لا تهدف للربح وتركز على تنمية مهارات الخطابة العامة والتواصل!!

ثقافة بالمجان..!!

مشهد يعود بي إلى مشاركة الحملة بأدبياتها في معرض مكتبة الأسد الدولي العشرين للكتاب، والتي جاءت تجسيدا لأهدافها الرامية إلى نشر الوعي الصحي والتأهيلي عبر ثقافة التأهيل، من خلال إصدارات الحملة التي وزعت مجانا على المهتمين وممثلي الهيئات الاجتماعية والصحية والإعلامية من الجهات المشاركة في المعرض.

الحلول الناضجة.. من فكر سلطان

وهذا مشهد آخر في خارطة الوطن يعود بي إلى المحاضرة التي قدمتها بعنوان (سلامة المرور تتحقق بسلامة حقوق المواطن!!) في الندوة التي نظمتها الإدارة العامة للإعلام والتوعية الصحية بوزارة الصحة عام ١٤٢٥هـ بعنوان الطريق للنقل لا للقتل – والتي أكدت فيها على عدة نقاط أساسية مفصلية جاءت على النحو: رغم الإجراءات المرورية المتشددة في الظاهرة تسبب حوادث المرور بإعاقة عشرة مواطنين في كل ساعة من ساعات النهار والليل، و نسبة كبيرة من الوفيات تنجم من الحوادث المرورية في المملكة العربية السعودية، و نفقد من جيوبنا يوميا ١٥ مليون ريال بسبب الحوادث المرورية وما يتعلق بها من قضايا وارتباطات، وكل عشر سنوات يمر علينا أيضا نصف مليون مصاب بسبب الحوادث المرورية، و كل عام تسجل لدينا ألف حالة جديدة من حالات الإعاقة بسبب الحوادث المرورية ومعظمها مصاب بأعطاب الحبل الشوكي مما يهدد المجتمع بأعز شرائحه، وقلة قليلة من حوادث الإعطاب في الحبل الشوكي تعالج تخصصيا مما يستوجب تخطيطا لإنشاء

مراكز متخصصة لإعاقات الإصابات في الحبل الشوكي الأكثر حساسية في الجسم البشري، وكل هذا وذاك يتطلب معالجة للإعاقات المتعلقة بالحبل الشوكي عبر العيادات العامة والطوارئ، و مواءمة التقنيات العالمية كقضية جوهرية في التخطيط لمستقبل التنمية في بلادنا، وضرورة بحث سلامة المرور على أسس ثقافية أخرى وقضاء الوقت والطاقة في التنمية، وتحقيق الأمن النفسي والرضا الاقتصادي بما يوفر المناخ الأفضل لنمو ثقافة سلامة المرور، لأن المعاق والمتضرر بأي شكل عبر حوادث المرورعرضة للتحول إلى كئيب حانق على النظام الاجتماعي والصحي في البلاد، لذا فإن تأهيله بشكل شامل يتطلب خططا أكثر جدية.

اليمن السعيد.. بسلطان العطاء

وفي مشهد آخر تسافر بي الذاكرة إلى «حملة الأمير سلطان بن عبدالعزيز للرعاية الاجتماعية والتثقيف الصحي والتأهيلي» وهي تغادر إلى صنعاء لتوزيع هدية صاحب الحملة وراعيها من الأجهزة والمستلزمات التأهيلية المقدمة للمعوقين حيث تم فحص ومعاينة

وتشخيص حالات الإعاقة المستفيدة من هدية سموه الكريم، وإجراء التعديلات الفنية المناسبة لتلائم الظروف الصحية والتأهيلية والبيئية للمعوقين، ثم باشر الفريق الفني المتخصص في الحملة، وتم تجهيز المستلزمات والأجهزة التأهيلية لغايات التوافق والانسجام مع حالة كل معوق كل على حدة، حيث تم إفراغ حاوية الأجهزة والمستلزمات التأهيلية التي تم شحنها حسب الأصول إلى الأراضي اليمنية بالتنسيق مع وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل في اليمن والبالغة سعتها (٤٠) أربعين قدماً، وبقيت في مقر المؤسسة اليمنية للخدمات الإنسانية بصفة دائمة على سبيل الاستخدام كمستودع للأجهزة والمعدات وقطع الغيار والتعديل، حيث تمت عمليات التعديل الفني من قبل فريق الحملة المختص بحضور مندوبين عن صندوق رعاية وتأهيل المعوقين اليمني، ومندوب من وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل في الجمهورية اليمنية.

وفي ذات المشهد استذكر صباح يوم ١٥ / ١٢ / ٢٠٠٤م حيث أقيم «مهرجان توزيع هدايا الأمير سلطان بن عبدالعزيز آل سعود لذوي الاحتياجات الخاصة في

اليمن» برعاية وزير الشؤون الاجتماعية والعمل اليمني وبحضور وكيل وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل المساعد للرعاية الاجتماعية، والرئيس التنفيذي لصندوق رعاية وتأهيل المعوقين في اليمن، ورئيس الاتحاد العام للمعوقين في اليمن، و رئيس المؤسسة اليمنية للخدمات الإنسانية، وعدد من المسؤولين في وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل في اليمن، وممثلي الهيئات الحكومية وغير الحكومية العاملة في مجال رعاية وتأهيل المعوقين، ومندوبي الجهات والمؤسسات المعنية، وبحضور التليفزيون اليمني، وحشد كبير من المهتمين والصحافة اليمنية والحضور.

أذكر في ذلك المشهد كيف عبرت جميع الكلمات عن طيب العلاقات الأخوية التي تربط اليمن بالمملكة العربية السعودية، وعن جسر التواصل الإنساني التي يبنيه دائماً الأمير سلطان بن عبدالعزيز آل سعود.

لماذا لا تكون المبادرات من طرفنا ؟!

مشهد آخر يقودني إلى بيروت، إلى درع الوفاء الذي سلمته الحملة أملا في الوفاء لحقوق المعوقين

وصيانتها في العالم العربي في المؤتمر الإقليمي حول معايير التنمية وحقوق الأشخاص ذوي الإعاقات.. لوزير الشؤون الاجتماعية في لبنان.. لوزير شؤون المهجرين في لبنان.. لوكيل الأمين العام للأمم المتحدة والأمين التنفيذي لـ(أسكوا).. لنائب الأمين التنفيذي لـ(أسكوا)، لرئيس المنظمة العربية للمعوقين.. لوكيل وزارة العمل والشؤون الاجتماعية المساعد للرعاية الاجتماعية في وطني.. للسفير رئيس لجنة الاتفاقية الدولية لحماية حقوق المعوقين بالأمم المتحدة.. لمدير إدارة الأمانة العامة لجامعة الدول العربية.. لرئيس قسم المرأة في (أسكوا) ولغيرهم من صناع القرار الإنساني العربي والمساهمين فيه.

أذكر يومها أني خاطبت هؤلاء في وثيقة حول الإعاقة والتأهيل في المملكة العربية السعودية والعالمين العربي والإسلامي برعاية الأمير سلطان بن عبدالعزيز، و استراتيجيات النهوض بالرعاية الاجتماعية في العالمين العربي والإسلامي، داعياً للاستفادة من التجربة السعودية برعاية الأمير سلطان بن عبدالعزيز في هذا المجال.

وأذكر في المشهد ذاته تثمين الحملة لأهمية وضع إستراتيجية عربية حول الاتفاقية الدولية للإعاقة، مع التأكيد على الخصوصية العربية والإسلامية، و تطبيق القوانين والأنظمة الحالية المتعلقة بذوي الإعاقات، والمقرة من الدول العربية على المستوى المحلي، وفقاً لنظام كل دولة عربية وسياستها، وأشرنا أن مسؤولية تولي مهمة الإشراف على تطبيق هذه القوانين يجب أن تحدد في إطار مؤسسة أو هيئة عربية، وقد تكون جامعة الدول العربية إحدى الجهات الهامة التي يمكنها القيام بهذه المهمة الصعبة، ذلك أن السعي لتطبيق هذه القوانين هو الذي سيمهد الطريق لتبني وتطبيق بنود الاتفاقية الدولية للإعاقة، وأذكر وقت طرحت يومها الحملة السؤال الذي فجر الصمت في قاعات المؤتمر.. «لماذا لا تكون المبادرات من طرفنا؟».

في غرفة الإنقاذ !!

وتتوالى المشاهد.. مشهد فريق العمل الطبي والإعلامي المتكامل الذي توجه إلى إحدى قرى محافظة الدوادمي التي تبعد عن الرياض أكثر من

٤٥٠ كلم للوقوف على حالات الأطفال المعوقين في أسرة واحدة، تضم ستة أطفال، أربعة منهم مصابين بمرض الحثل العضلي، فارقت الروح جسد اثنين منهم.. وبقي الأمل في إنقاذ ما تبقى!!

يا أم المعاق..

وينتزعني مشهد آخر إلى الجبيل حيث الحملة ترعى المشروع التثقيفي الأول لأهالي الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة من خلال سلسلة من المحاضرات على مدار ثلاثة أيام، شملت كيفية التعرف على تأخر نمو الطفل، وسائل التشخيص في النطق، و«العلاج الاجتماعي لذوي الاحتياجات الخاصة» و«الخدمات الصحية المقدمة لهذه الفئة»، و«الإصابات التي تحدث للأطفال المعوقين وطرق التعامل معها» و «الأدوات التي يحتاجها المعوقين وطرق التعامل معها» و «العلاج النفسي لآلام الإعاقة» و «خدمات المركز المشترك لبحوث الأطراف الاصطناعية بالرياض» و «الأم المتميزة».

أطباء نفسيون.. بالفطرة والنهج

وإلى المشهد الذي يعود بي إلى أروقة المركز المشترك، وإلى ما قاله أستاذ الطب النفسي د. فؤاد بحر في محاضرتين علميتين عن طرق العلاج النفسي للمعوقين، وما يتبع ذلك من أساليب علاجية نفسيه تسهم في اندماج هؤلاء المعوقين في المجتمع، حيث قال بشهادة العالم المتخصص: «أن كل العاملين بالمركز المشترك –دون استثناء– معالجون نفسيون يمارسون نفس الدور الذي يقوم به المتخصص بجانب دورهم الأساسي في الرعاية وتأهيل المعوقين، وإجراء الأبحاث والدراسات الخاصة بقضايا الإعاقة والتأهيل».

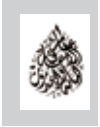

في نهج سلطان.. «التنمية» وليسمع الجميع

ومن مشاهد الذاكرة، مشهد مشاركة الحملة في أعمال الدورة الثالثة والعشرين للجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي أسيا (أسكوا) الأمم المتحدة، يومها كانت كلمة الحملة ضاربة في أجواء المؤتمر، وفي أذهان المؤتمرين، يوم أشارت الكلمة إلى نهج الحملة.. نهج سلطان، مؤكدة أن التنمية التي تصبو

إليها بلادنا لا يمكن لها أن تصبح واقعا في يوم من الأيام إلا بالعمل الحقيقي من أجلها، واعتمادها الطريق الأمثل للوصول إلى حقوق ومفاهيم الرعاية الإنسانية، وحقوق الإنسان بشكل عام، وحقوق الأشخاص المعوقين وذوي الاحتياجات الخاصة بشكل خاص، وإنه من الضروري الالتفات إلي قضايانا التنموية بعين واقع الحال، وتعزيز كل الأدوار الإيجابية فيها، والبحث عن السلبيات و الاعتراف بها كمرحلة أولى، ثم معالجتها في مرحلة ثانية، وصولا إلى تفاديها بشكل عام وكامل في المراحل اللاحقة.

في هذا المشهد كانت رؤية الحملة عالمية بكل قنوات الإعلام، عالمية بمعنى فكر سلطان، خاصة وأن حضور المؤتمر كانوا من شمل العالم.. من الأردن، والإمارات العربية المتحدة، والبحرين، وسوريا، والعراق، وعُمان، وفلسطين، وقطر، والكويت، ولبنان، ومصر، والسعودية، واليمن، وتونس، والسودان، وليبيا، والمغرب، والمفوضية الأوربية، والصين، وكوريا، ورومانيا، وروسيا، وفرنسا، وألمانيا، واليابان، وبحضور ممثلين وصناع قرار من الأمانة العامة للأمم المتحدة،

ومكتب الممثل الشخصي للأمين العام، ومكتب اللجان الإقليمية بنيويورك، ومكتب الأمم المتحدة للشؤون القانونية، ومكتب الأمم المتحدة المعني بالمخدرات والجريمة، و برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، ومفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، ومكتب المفوض السامي للأمم المتحدة لحقوق الإنسان، ومنظمة الأمم المتحدة للطفولة، ووكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأدنى، وبرنامج الأغذية العالمي، ومنظمة العمل الدولية، ومنظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة (الفاو)، ومنظمة الأمم المتحدة للتربية والتعليم والثقافة، ومنظمة الصحة العالمية، و جامعة الدول العربية، ومنظمة العمل العربية، والمنظمة العربية للتنمية الزراعية، ومنظمة المدن العربية، واتحاد غرف دول مجلس التعاون الخليجي، ومجلس التعاون لدول الخليج العربية، والمعهد العربي للتخطيط، والصندوق السعودي للتنمية، ومجلس وزراء العمل والشؤون الاجتماعية بدول مجلس التعاون الخليجي، والاتحاد العربي للصناعات الغذائية، والمؤسسة الإسلامية لتنمية القطاع الخاص، و المركز الدولي للبحوث الزراعية

في المناطق الجافة، ومنتدى الفكر العربي، والمجلس الوطني لشؤون الأسرة، وملتقى سيدات الأعمال والمهن الأردني، والمجلس الأعلى للمرأة، واتحاد المحامين العرب، والاتحاد العربي للصناعات الكيميائية والبتروكيميائية، وجامعة دمشق، ومعهد التخطيط الاقتصادي والاجتماعي، وغرفه تجارة دمشق، وغرفة صناعة دمشق، وغرفة محافظة ريف دمشق، والشركة السورية العراقية للملاحة البحرية، وهيئة مكافحة البطالة، والهيئة السورية لشؤون الأسرة، ومركز الدراسات للبحوث العلمية، ووزارة الصناعة، والاتحاد العام للمرأة الفلسطينية، ورابطة سيدات دير الأحمر، ولجنة شؤون المرأة، والاتحاد العام لغرف التجارة والصناعة والزراعة للبلاد العربية، وجمعية المبرات الخيرية، ومؤسسات الإمام الصدر، والصليب الأحمر اللبناني، والهيئة الوطنية للطفل اللبناني، والاتحاد النسائي العربي الفلسطيني، ونقابة المهندسين، والمركز العربي للدراسات الإستراتيجية، والجمعية المصرية لمكافحة مرض الايدز، واللجنة الوطنية للمرأة، واتحاد المصارف العربية، والاتحاد العام النسائي في سوريا، ومنظمة

كير العالمية، و جامعة القاهرة، والمؤتمر القومي العربي، والمكتب الاستشاري السوري للتنمية والاستثمار، ومركز دراسات مشاركة المرأة العربية، وبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي.

الحملة تقطع بطاقة الصعود إلى الطائرة..

وفي مشهد حار.. تأخذني الذاكرة إلى وفد الخطوط الجوية القطرية، الذي زار الحملة وتناول معها جملة من القضايا المتعلقة بالإعلام المقروء على متن الطائرات، وعلى رأسها حملة الأمير سلطان بن عبد العزيز للرعاية الاجتماعية والتثقيف الصحي والتأهيلي، التي كانت بدأت تأخذ منحى عربيا كأنموذج يهدف إلى نشر الوعي والتثقيف في مجال الرعاية الإنسانية بشكل عام، وأبدى مدير المبيعات الإقليمي في المنطقة الوسطى بالمملكة للخطوط الجوية القطرية آنذاك شكره وتقديره لراعي الحملة والحملة، خاصة في مجال الإعلام المقروء على متن الطائرات، من خلال إصدارتها (العالم) (الصحة العربية) (عالم الإعاقة.. منبر الأقوياء) والتي جاء الأمر السامي الكريم

من لدن صاحب الحملة ومؤسسها الأمير سلطان بن عبد العزيز بتوزيع هذه الإصدارات جميعها على شكل إهداءات للمسافرين على متن طائرات الخطوط الجوية العربية السعودية، وتقود نفس الذاكرة إلى التحضيرات الأولية في هذا الاجتماع لدراسة إمكانية توزيع إصدارات الحملة من المجلات الثلاث على المسافرين على متن طائرات الخطوط الجوية القطرية، من خلال محطة الرياض كمرحلة أولية، ثم توزيع هذه الإصدارات على المسافرين عبر الخطوط الجوية القطرية في كافة رحلات الخطوط الجوية القطرية.. وللحقيقة والتاريخ معا فإن هذه الدراسة أجهضت في المهد من قبلنا حفاظا على خصوصية انطلاق الإعلام التوعوي عبر قناة واحدة، تمثلت في الخطوط الجوية العربية السعودية التي قدمنا لها بناء على توجيهات المؤسس الراعي إصداراتنا على مدى عام كامل بالمجان لتوزع بالمجان!!.. وفي هذا نلتمس العذر من الإخوة في الخطوط الجوية القطرية، ونؤكد اعتزازنا بما أنجزناه في هذا الإطار مع الخطوط الجوية العربية السعودية، فالهدف نبيل وكل محط اعتزاز.

مع رجل وفّى..!!

وفي مشهد أقرب إلى الذاكرة تروح بي اللحظات إلى الدورة التدريبية الأولى لتنمية مهارات التعامل مع المكفوفين وضعاف البصر التي أقيمت بمستشفى الملك خالد التخصصي للعيون برعاية د. حمد بن عبد الله المانع وزير الصحة آنذاك، والذي قدمت له الحملة درع الوفاء، تقديرا لجهوده البارزة، ومساهمته الفاعلة في دعم كافه نشاطات وبرامج المعوقين وذوي الاحتياجات الخاصة.. وللحقيقة لا لشيء آخر رد معاليه الوفاء بموقفه مع المركز المشترك الذي كان قلب الحملة النابض!!

جهود الوطن.. في القارة البيضاء!!

وتسوقني الذاكرة إلى القاهرة.. وبالتحديد إلى وسط تظاهرة عربية وإفريقية، تمثلت في «المؤتمر العربي الإفريقي الأول لرعاية وتأهيل المعوقين» حيث تسنى للحملة المشاركة في فعاليات الافتتاح، بكلمة خصصت لجهود المملكة العربية السعودية في خدمة المعوقين، لينال بعدها شهادة الحملة ونهج صاحبها

من دروع الوفاء: رئيس الاتحاد العام للجمعيات والمؤسسات الخاصة غير الحكومية، و رئيس نقابة أطباء مصر، ووزير الصحة والإسكان بدولة ملاوي، و رئيس الاتحاد العالمي للصحة النفسية، و رئيس الاتحاد العام للكشافة المصرية، و رئيس جمعيات الصحة النفسية بمصر، ورئيس الجمعية المصرية لرعاية المعوقين.

جرأة الطرح.. واحدة من دروس سلطان

ومن القاهرة تطير بي الذاكرة إلى الدوحة عندما شاركت الحملة باجتماع الدوحة لخبراء الإعاقة، الذي عقد في ديسمبر ٢٠٠٣ م، و الذي بادرت الحملة فيه المجتمعين من الخبراء بطرح جريء حول اتفاقية حقوق المعاقين، عبر مطالبتها بتطبيق القوانين والتشريعات واللوائح والأنظمة التي صادقت عليها الحكومات العربية، وما زالت قيد الانتظار في إطار تنظيري لم ير واقعاً تطبيقياً بعد، خاصة وأن الحملة قدمت نموذجا تطبيقيا لكل اتفاقيات حقوق المعاقين عبر ما وفرته من آليات تطبيقية لتقدير احترام كرامة الأفراد، ومساندة الجهود الرامية إلى تقديم العون والمساعدة لذوي

الاحتياجات الخاصة من عجزة و مسنين ومعاقين، وتوفير الدعم المادي والمعنوي والفني لكافة أشكال الرعاية الاجتماعية، والرؤى العلمية والعملية، التي قدمتها عبر الخطط والاستراتيجيات والبرامج الهادفة، إلى التوعية والتثقيف ونشر الثقافة التوعوية، والإعلام الموجه نحو قضايا الإعاقة، وتنفيذ المشاريع التنموية الهادفة إلى صناعة مستقبل ذوي الإعاقات بإشراقة ناصعة، وتأمين مظلة اجتماعية إنسانية كبرى بالمفهوم الجغرافي للعالمين العربي والإسلامي، إضافة إلى العديد من المشاريع والمساهمات ذات الفاعلية في مجال ضمان حقوق المعاقين، و تأمين أبسط سبل العيش الكريم لهم.

من معادلات سلطان..

التأهيل = الزمان + المكان + الأفراد

وعن مشهد ليس ببعيد عن الدوحة، يدخل إلى الذاكرة مشهد الشارقة، حيث تحط الحملة رحالها في فعاليات مؤتمر الشارقة لتأهيل وتوظيف ذوي الاحتياجات الخاصة في ٢٠٠٤م ليعود نهج سلطان

وفكر سلطان إلى مقدمة الحضور، لتتحدث كلمة الحملة عن مسيرتها التي لا تؤمن بأي حدود سوى حدود الإنسانية، ولا تقف عند زمن تكون فيه مجرد معلم على الطريق، بل هي حاضرة إعانة ومساندة، استراتيجيات وبرامج، خططا ولقاءات، توعيةً وتثقيفاً، تأهيلاً ومراقبة، وجهوداً محفوفة بالتوجه الإنساني الراقي، ولتؤكد من نهج صاحبها على أن التأهيل يغدو مرحلة تكتسب أهميتها من الحاجة الماسة للتقويم، و السعي الأمثل للتأهيل من خلال التأهيل الشامل في الزمان والمكان والأفراد، حيث لا قيمة لتأهيل جسد وصلنا إليه بعد أن استفحلته الأمراض، وغزته السموم، وأنهكته عجلات كرسيه المتحرك، ولا قيمة لتأهيل معاق أنى كانت إعاقته يعيش في مجتمع لا يعي طموحه، ولا يدرك مراميه، ولا يؤمن بقدراته وإرادته، ولا قيمة لتأهيل المعاق في نظام لا يؤمن بحريته.

«الحملة» بلا جدل.. في مؤتمر الجدل!!

وتعود بي الذاكرة الفوضوية إلى الدوحة مرة أخرى، ولكن هذه المرة إلى مؤتمر الدوحة العالمي

للأسرة، الذي أثار الجدل على المستوى السياسي والاجتماعي في حين توحدت فيه وجهات النظر على المستوى الإنساني بالبديل الحضاري، يوم طرحت الحملة في المؤتمر ورقتها الخاصة بمؤسسة الأسرة للرعاية الاجتماعية كبديل حضاري تنموي، تناول المفهوم الإسلامي في نظام الرعاية الاجتماعية، و ترابط الأسرة، عبر مفهومين رئيسين يتمثلان في: الحقوق بأبعادها المختلفة و المفصلة تفصيلا دقيقا في القرآن والسنة و النهج الحضاري الإسلامي، والمودة وهي صنو الإمتاع، كما تناولت الورقة الموضوع الشائك وهو المرأة ومسؤولياتها، باعتبارها سكن للرجل، كما أن الرجل سكن للمرأة، وحق الرعاية، فمؤسسة الأسرة للرعاية الاجتماعية التي دعت إليها الورقة، هي ما سعت لتحقيقه «حملة الأمير سلطان بن عبد العزيز للرعاية الاجتماعية والتثقيف الصحي والتأهيلي»، انطلاقا من دورها التوعوي الإرشادي في جميع جوانب التربوية والاجتماعية والصحية، لبناء الخلية الأصغر في المجتمع، وهي الأسرة، بناءً سليماً، لتنطلق منه نحو تحقيق الهدف الأكبر، المتمثل في تنمية

شاملة للمجتمع، والحملة بهذا المعنى تعد إستراتيجية بعيدة المدى، تطرح أفكارها بجدية وجرأة بتضافر جهود مؤسساتها الخدمية والإستراتيجية والاستشارية والإعلامية، من خلال سعيها لنشر ثقافة التوعية الصحية والتأهيلية لمؤسسة العالم للصحافة بإصدارتها الثلاث: (الصحة العربية – العالم – عالم الإعاقة.. منبر الأقوياء) مع توفير الإعلام الموجه نحو قضايا هذه الفئة من ذوي الاحتياجات الخاصة.. باعتبار الحملة هي المظلة الاجتماعية الكبرى التي تنتهج فكر المؤسس الراعي الأمير سلطان بن عبد العزيز – حفظه الله – وكما يقول دائما أمير الحملة وصاحبها «أن العبرة ليست فقط في الإستراتيجية الواضحة و إنما في تطبيقها على أرض الواقع».

مطالبة شرعية بالانطلاق!!

ومشهد آخر يأخذني لملتقى دبي الدولي لإعادة التأهيل في دبي، والذي جاءت مشاركة الحملة به تجسيدا لمنطلقاتها في مد يد المساندة لبرامج واستراتيجيات التعاون بين القطاعات المختلفة، لتقديم

أفضل الخدمات لفئة ذوي الاحتياجات الخاصة، بنوعية جيدة، ووفق أحدث الأساليب العلمية المعاصرة.. وتقودني الذاكرة في دبي إلى ما أسسته الحملة في ذلك اللقاء، بمطالبتها ببدء استراتيجيات توفير وتطوير وتطويع جميع المرافق والخدمات، لتمكين ذوي الاحتياجات الخاصة من أن يعيشوا حياة طبيعية، هي من حقهم.

هذه هي المشاهد التي فيها إجابات على أسئلة القريب والبعيد، إجابات وافية وإن كانت غير مرتبة، تأتيك بغير شك من واقع عاشته الحملة ومارسته مؤسساتها، وهي تشعر أن القادم فيه ما يعوض المفقود الحالي، وأن اعتبارات كثيرة ستتهاوى أمام نبل الهدف الإنساني، وأن القيمة الوحيدة الباقية لمشروع الحملة هي قيمة ابتسامة طفل معوق، أو حكاية جهاز تأهيلي لمريض أو مشوه، أو دعاء مسن في آخر أيامه، أو ابتهال أرملة وأيتامها بعدما جاء الفرج بعد ضيق.. ورغم أن الحملة خسرت رهاناتها مع البعض، وكسبت مع البعض الآخر، إلا أنها واصلت بدعم المخلصين الصادقين الذين لم يروا فيها تجارة سلطة أو

جاه، بل آمنوا بها الرابحة الرابحة عند الله... وهي بالدعاء في موازين حسناتك يا أمير الخير والعطاء، يا سلطان النور.

لك يا أمير الخير.. لا لغيرك

كما هي المشاهد تتداعى أمامي كذلك هي الأصوات.. صوت من كتب من دمشق ليقول:

(رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي، وأن أعمل صالحا ترضاه).. إنها مكرمة لن أنساها ما دمت حيا.. مكرمة اطمئن بها بأن المسلم ليس له عنوان.. أينما كان فالأبواب مفتوحة.. معلنة بعمل الخير والبر والإحسان.. ارفع يدي إلى السماء وأناجي الله وأدعوه هو المجيب...

لك الشكر يا الله وكيف أشكرك؟... لا أعرف! فقد أرسلت لنا أناسا يذكرون الله بأعمالهم بأنها خالصة لوجهك الكريم... اللهم لك الحمد والشكر...أدعو الله أن يحفظ أمير الإنسانية صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز أل سعود رعاه الله وأمد في عمره على مكارمه التي غمرت كل ذوي الحاجة أينما كانوا.

وهذه أصوات أبناء السعيد.. اليمن السعيد صوت يقول:

«أحسست منذ الطفولة بحجم المشكلة التي أسببها لوالدي وأخي الحبيب مراد، فلقد كنت عبئاً

ثقيلاً عليهم دائماً، وكنت أحلم أن أكون كباقي الأطفال أمشي وألعب مثلهم، ويكون لي أصدقاء، ولكن انقطاعي عن المجتمع في المنزل جعلني وحيداً بلا صديق لي إلا أخي مراد –حفظه الله– ووالدي ووالدتي.

أنا سعيد جداً.. كنت انتظر وصولكم بفارغ الصبر، وأدعو لصاحب السمو الأمير سلطان بالتوفيق في كل أعمال الخير التي يقوم بها.. وأشكر القائمين على هذه الحملة الذين لم يألوا جهدا في إيصال هذه المكرمة إلينا».

وصوت آخر يقول:

«أن يكون المعاق في بلادي ذكر فهذا في حد ذاته مشكلة، ولكن الأكثر من مشكلة والأكثر من مأساة هي أن تكون المعاقة امرأة... فقد ولدت وأنا أعاني من الإعاقة «شلل الأطفال» وكان من الممكن ألا أصل إلى ما وصلت إليه إلا بفضل وعي أسرتي، وإصرارهم ألا أكون حبيسة هذه الجدران، وبرغم شح الإمكانيات بما يخص متطلبات المعاق، جاهدت وأصررت على أن أكمل دراستي الثانوية والتحق للعمل في جمعية

التحدي الخاصة بالمعاقات، وأنا اليوم أمامكم.. أشكركم على هذه المكرمة التي أتيتم بها».

وآخريقول:

« أنا من أرض السعيدة، وأرفع راية كل معاق، وأمثل كل معاق في وطني الحبيب.. ولن أنسى ذلك اليوم الذي سمعت أن حملة الأمير سلطان للرعاية الاجتماعية والتثقيف الصحي والتأهيلي ستأتي إلى اليمن، وتفرج عن همومنا بهذه المكرمة العظيمة... والحمد لله حالياً أشعر بالسعادة بعد أن استلمت الكرسي المتحرك... فلا توجد أية مشاكل فقد بدأت أتنقل بسهولة.. وإنني أشكر الجميع على ما قاموا به.. فلم يقصّر أحد في شيء.. وأتوجه بالشكر الخاص لسمو الأمير سلطان بن عبدالعزيز –حفظه الله– على الرعاية والجهود التي أسداها من خير ومعروف من خلال هذه الحملة المباركة.. وأشكر كل القائمين على الحملة».

وآخريقول:

«لا أستطيع أن أصف مشاعر فرحتي وسروري بحصولي على الكرسي المتحرك من حملة الأمير

سلطان . . أسأل الله العلي القدير أن يوفق كل من ساهم وتعاون حتى استطعت الحصول على الكرسي، وإتباع الشفافية وتسهيل الإجراءات التي تعتبر نموذجية في حياتي، حيث لأول مرة أستطيع استكمال الحصول على المساعدة بهذه السرعة دون وجود تعقيدات، وفقكم الله جميعاً».

وآخر يقول بلسان الأب:

«أشعر بالارتياح لحصول ولدي على الكرسي المتحرك، ودائماً تطلعت لتسفير ابني للخارج لعلاجه حيث يقول بعض الأطباء بأن هناك أمل في علاج ابني، ولكن ظروفي المادية لم تسمح لي بتسفيره، وعندما سمعت أن هناك فريق طبي متخصص سعيت له لعرض حالة ابني، وقد وعدوني في المؤسسة اليمنية للخدمات الإنسانية من خلال تواصلها مع حملة الأمير سلطان أن يسهموا في علاج ابني بالخارج، وجزا الله خيرا كل من قام بهذا العمل الإنساني العظيم».

وصوت بمرارة الانتظار أتى يقول:

«بصراحة أشعر بسعادة وفرحة غامرة، لأنني انتظرت

هذه اللحظة سنة وأربعة أشهر.. وبالفعل تحقق الحلم في حصولي على هذا الكرسي الكهربائي.. فقد كان بالنسبة لي حلم ومفاجئة.. بدأت تعبئة الاستمارة منذ سنة وسبعة أشهر، ومن خلال صندوق المعاقين، وكانت المفاجأة قبل أسبوع اتصلوا بي، وقالوا احضري لاستلام الكرسي الكهربائي، لأنني لا أستطيع الحركة بواسطة الكرسي العادي إلا بمساعدة الزملاء، وحقيقة أتمنى أن تصل هذه الفرحة، والتي أزف من خلالها تحياتي وأشواقي وجزيل الشكر لصاحب القلب الطيب سمو الأمير سلطان بن عبدالعزيز الذي أدخل البهجة إلى كل أسرة تعيش مأساة الإعاقة في اليمن».

وسعيد في البلد السعيد يضيف:

«في البداية أتقدم بالشكر الجزيل لسمو الأمير سلطان بن عبدالعزيز آل سعود على كرمه وسخائه، بإعطائي هذه الهدية الضخمة التي حصلت عليها اليوم، بعد حلم ومتابعة مدة عامين تقريباً، وبصراحة لم أكن أحلم بهذه العربية الكهربائية، فقد كان حلمي متواضع.. أي الحصول على عربية دفع عادية، بحيث أستعين بأحد الأقرباء، وبالفعل تحقق المراد -نحمد

الله على ذلك– ونسأل الله أن يطيل عمر هذا الكريم، صاحب القلب الرحيم، الذي يحس بمعاناة إِخوانه في اليمن.. واعتبر هذه الهدية من أغلى وأروع الهدايا التي كنت أحلم بها كثيراً، فالحمد لله وشكراً أيضاً للقيادة السياسية ممثلة بفخامة الأخ الرئيس علي عبدالله صالح رئيس الجمهورية الذي يزرع الحب والبسمة في قلوب الأهل... والأشقاء في المملكة العربية السعودية جيراننا وأهلنا في الحجاز».

واسمع معي هذا الصوت:

«وعدوني أن أكون في الاحتياط، أي كان أملي في الحصول على عربية كهربائية ضعيف جداً، لكن بالدعاء استطعت الحصول على هذه العربية الكهربائية، وبصراحة أنا سعيد جداً جداً وأتمنى أن يحصل كل معاق تم فحصه من قبل اللجنة الطبية وقرر له الحصول على عربية كهربائية، وما أكثرهم!! لكننا نأمل أن تتواصل قوافل الخير والعطاء من الأشقاء في المملكة، حتى يتمكن إِخواننا المعاقين من الحصول على وسيلة تساعدهم على تخطي صعوبة التنقل، وتحقيق فك أسر المعاق، ولا يسعني هنا إِلا التوجه بالشكر لله

سبحانه وتعالى الذي سخر لنا قلوب وأفئدة بمثل سمو الأمير سلطان بن عبدالعزيز –حفظه الله– ... وبالفعل نحن سعداء جداً جداً بما تحقق وبما استلمناه من أجهزة ومعدات».

صوت من المغرب العربي يقول:

«لا يسعني إلا أن أتقدم بالامتنان لمبادرة الحملة بالاستجابة الفورية وتلبية ندائي، حيث ضاقت بي السبل بعد مراسلتي العديد من المراكز والجهات المختصة داخل المملكة المغربية وخارجها، لكن دون جدوى... وأثمن غالياً توجيهات صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز راعي قضايا المعوقين في العالمين «العربي والإسلامي» بتركيب طرف اصطناعي كهروعضلي علوي لابني المعوق، وأعتقد أن هذا ليس غريباً على أهل المملكة العربية السعودية وولاة الأمر فيها».

وصوت من بلاد الشام يقول:

«كنت أحلم دائما بأن أكون كباقي الأطفال، أمشي وألعب مثلهم، وأن يكون لي أصدقاء...

أذكر بأن والدتي كانت تعاني الكثير من أجل نقلي إلى المدرسة، فكانت تضعني على كرسي قد صنعه والدي عند حداد، وتنتظرني في المنزل حتى تسمع جرس المدرسة من بعيد، فتعود لأخذي من جديد، كما أن أصدقائي كانوا يخرجون للعب في الباحة أثناء الفسحة، بينما أجلس وحدي في الصف دونما رفيق، و كانت المدرسات يتذمرن ويبدين انزعاجهن لوالدتي لكوني لا أستطيع الكتابة والقراءة بسرعة، بسبب إعاقتي، وعندها بدأت أكره المدرسة وقررت تركها رغم رغبتي الشديدة في التعلم، وخاصة عقب تلف الكرسي بعد الاستعمال الطويل... عندما كبرت تغيرت أحلامي.. قبلت بالواقع وتقبلت إعاقتي، وبدأت أحلم بإثبات وجودي كإنسان حي بالاعتماد على نفسي والعمل والإنتاج مهما كان هذا العمل بسيطا، ومهما كان المبلغ الذي أحصل عليه قليلا.. كنت أحلم كل يوم بالحصول على مصروف من تعبي وكدي.. كنت أحلم بالحصول على كرسي يساعدني بالتنقل خارج المنزل، لأرى العالم الخارجي الذي يحيط بي...أحلم بأن يكون لي أصدقاء أعتز

بهم ويعتزون بي . . .أحلم بمتابعة تعليمي . . فأنا أرفض أن أبقى أميا . . . . إنني سعيد جدا، فقد كنت أنتظر قدومكم بفارغ الصبر بعد مكالمتكم لي . . وأتمنى لصاحب السمو الأمير سلطان بن عبد العزيز التوفيق في كل أعماله وأعمال الخير التي يقوم بها، وأشكر الحملة على هذه البادرة الجميلة بمنحي كرسي متحرك حديث حقق جزءا كبيرا من حلمي » .

هذه هي الأصوات الصادقة التي كانت نبراتها الدافع لنا في العطاء . . في الاجتهاد . . في التصميم . . في الإعداد . . في التنفيذ . . في تحمل المسؤولية والتبعات لكل قرار وفي كل خطوة .

حساباتنا مع الكبار!!

إن من يعمل بفكر سلطان يدرك تمام الإدراك أن لا إنجاز يسجل باسم شخص، وأن لا مكان لمبتذل، أو متسع لشخصنة، وقد أدركنا هذا بهوية الحملة، وإن أعيق الفهم لدى البعض في ذلك، فهذا مرده الانصهار التام بين كافة مكونات الحملة وشخوصها وبرامجها وأنشطتها، ورجالاتها، فالحملة بكل مكوناتها مشروع سلطان وعطاء سلطان ونهج سلطان.

وفي ذلك سبق و أن أكدت في المؤتمر الصحفي الذي عقدته مؤسسة الملك عبدالعزيز ورجاله لرعاية الموهوبين في ٢٠٠٤ م عندما حصلت الحملة على ميداليتين فضية وبرونزية عن الاختراعين المسجلين باسمي عالميا: مفصل كاحل دوار قابل للانغلاق لطرف اصطناعي ذي بنية تجميعية للبتر تحت الركبة – براءة اختراع أمريكية في عام ١٩٨٩ م، و جهاز للتحليل الكمي لعدم وثاقة الركبة البشرية في الجسم الحي دون التعرض للأنسجة– براءة اختراع أوروبية في عام ١٩٩١ م، في معرض جنيف الدولي الثاني

والثلاثين للمخترعات الذي عقد خلال شهر صفر من عام ١٤٢٥هـ، على أن الفضل يرد، بعد توفيق الله، للأمير سلطان بن عبدالعزيز آل سعود، بعدما حققنا فيه الإنجاز أمام ٨٥٨ مشاركا مثلوا ٤٢ دولة، بل وسجل الاختراع للوطن – ومشروع الحملة هو مشروع وطني برؤية وأبعاد عالمية – أمام جمهور كبير بلغ ٦٠٠٠٠ زائر من المفكرين والمهتمين، وأذكر وقتها العناوين الرئيسة في وسائل الإعلام الوطنية على لساني والتي اقتصصت منها: «لولا سلطان لما حققت شيئا لا على الصعيد الشخصي ولا على الصعيد الوطني» و «أناشد زملائي وإخواني ألا يتوقعوا دعما أو يطلبوا الكثير قبل أن يقدموا الكثير» و «من أسرار نجاحي أنني أعيش في وطن يحسب لكل مواطن حسابه يعطي حين لابد من العطاء ويمنع حين يكون المنع عطاء» و «المواطن السعودي هو الوحيد القادر على المحافظة على التنمية المستدامة في هذا الوطن» و«البحث العلمي هو تحويل المعرفة إلى أداة فما حال البحث العلمي في بلادنا؟!».

وبمناسبة الحديث عن البحث العلمي الذي هو

همي وهم الحملة في هذه المسيرة، كتبت مرة لصاحب الحملة ومؤسسها سلطان بن عبد العزيز، واضعا الأمانة بين يديه، وأشرت إلى أن البحث العلمي هو الوسيلة العملية التي نقلت أوروبا من عصور الظلام إلى عصر النهضة الذي نعيشه اليوم، والبحث العلمي هو أساس التصنيع والتطوير والزراعة والطب والنقل والاتصالات والتسلح.. الخ وهو أساس النقلات النوعية في حياة البشرية، وهو أساس القوة والاستدمار، كما أنه أساس التنمية والعدل، و اعتقد كما أرى وكما استنتجت من الأبحاث العديدة التي ساهمت فيها، أننا لم ندرك حتى اليوم ماهية البحث العلمي، فنحن نشترك بالبحث العلمي من زاوية سطحية، توفر المعلومات ولا تحولها إلى أدوات.. أي أننا نلهو بالبحث العلمي ولا نستخدمه في تطوير مجتمعاتنا للأفضل.. أي أننا لم نتحول حتى اليوم إلى شركاء حقيقيين في النادي العلمي العالمي، خاصة وأن كلنا يعلم أن غايات ومبررات البحث العلمي تختلف من مجتمع إلى آخر في هذا العالم، فالغاية الأوروبية الأمريكية هي الاستمرار في سبر غور المجهول، والسيطرة من خلاله

على السلطة التقنية في العالم، وما يتبع ذلك من هيمنة واقتصاد وتنمية، أما في دول العالم الثالث فأمر البحث العلمي يختلف تماما، فهذه الدول لم تشارك أصلا في الثورة العلمية التي بدأت منذ القرن السابع عشر الميلادي، أي أنها لا تملك أدوات مسايرة هذه الثورة، وهي بذلك تراقب من بعيد وتحاول أن تتلمس مسيرة البحث العلمي العالمية عبر ما يكتب وما ينشر، وهذا في الحقيقة المرة لا يصنع حركة علمية، ولا يؤهل أحدا من خارج نادي البحث العلمي المغلق للاشتراك الحقيقي في مسيرته وأسراره، لقد انفق الغرب حوالي ٣٠٠ عام من عمره، والمليارات من أمواله في صنع النادي العلمي، وبالتالي فله الحق منطقيا أن يجعل أسراره حكرا عليه، لأن هذه الأسرار تعني التفوق العالمي، وتعني معرفة المعادلات الكفيلة بالمنافسة، وتعني الاستفادة المجانية من أبحاث الآخرين وبراءات اختراعاتهم، وتعني أخيرا –وهي النقطة الأهم– وصول ٨٠٪ من سكان العالم المستهلكين إلى نقطة الإنتاج والاكتفاء، وهذا هو الممنوع بعينه..!! إن حماية الملكية العلمية تعني تقسيم العالم إلى مصنع

ومستهلك، وحكر التصنيع على أصحاب براءات الاختراع، مما يدعونا للتساؤل بكل جدية ووعي عن فوائد البحث العلمي في هذا المناخ التجاري، وكذلك عن أبعاده ونوعيته ومدى الاستفادة منه، وهذا ما فعلناه طيلة مسيرتنا العلمية والعملية بمعية المؤسس الراعي رجل الدولة الأمير سلطان بن عبدالعزيز.

إنني لولا سلطان لما حققت شيئا لا على الصعيد الشخصي ولا على الصعيد الوطني، وإن هذه الجوائز التي نلتها في معرض جنيف الدولي الثاني والثلاثين للمخترعين أمام ألف اختراع عالمي، والاعتراف الذي انتزعته لوطني قبل أن يكون لنفسي أمام خمسمائة وخمسة وثمانين مخترعا ليس ملكي، بل هو أمانة في عنقي لأمير الإنسانية سلطان، ومن لا يعرف الأمير سلطان بن عبدالعزيز لا أظنه يعلم الكثير عن البذل دون حدود، والمتابعة لمجريات الأمور بكل تفاصيلها وجوانبها، فهو يعيش مع المواطن، ويملك خصوصية التدخل في الوقت المناسب.. رجل دولة بكل المعايير.

إن من يضع الرسالة العلمية موضع الأمانة في عنقه للوطن، ولتنمية الوطن، ولخدمة الوطن، ورجاله

المخلصين، هو من يسعى لبناء نهضة أمته بصمت الأسود التي لا تزأر، ومن يستند في عمله على نهج سلطان، وفكر سلطان، فهو يجسد نفسه جسرا لعبور الوطن نحو منجزاته العالمية الخالدة الرائدة، وهو من يصهر نفسه في بوتقة التنمية لأجل الوطن وليس من يصهر بوتقة التنمية في الوطن لأجل ذاته!!... إن من يعمل بفكر سلطان يعمل بفكر الإسلام والعروبة والوطنية، لذلك من السهل والواجب أن يبدع كل من يعمل بفكره، بل إن فكر سموه بحد ذاته هو الإبداع.

ترى كم هم الفخورون بإنجازات الحملة؟ وكم هم الذين يرون أن مسيرة أكثر من عقدين من الزمن هي مغامرة غير محسوبة؟.. إذا اختلفت الحسابات وجدت نفسك أمام جيش من الأطراف المتناقضة، فأنا لا تهمني حسابات العقول التجارية ولا السياسية ولا حسابات منطق الأخذ والعطاء، بل ما يهمني حسابات منطق العطاء فقط، ومنطق الأمانة التي حملني إياها سلطان الخير أمير الإنسانية، ومنطق إعمار الدنيا وأهل الدنيا لأجل الآخرة، ومنطق الوفاء والانتماء..

لوطني..لأمتي.. لإنسانية الأخوة والعالم، فيا ترى من معي في هذه الحسابات؟.. إنها الأمانة من أمير الإنسانية.. اللهم فاشهد أني قد أديت.

من فكر القائد..
وبفكر الراعي والقدوة

مشروعنا في الحملة لم يكن مشروعا يغرد خارج السرب، فكما استثمرت العقول التجارية والصناعية الطفرة الاقتصادية في المملكة وأخذت تطلق مشاريعها التنموية في كل اتجاه، وكما استفاد خبراء العقار والبناء من الطفرة المعمارية في المملكة فشيدوا الصروح والمساكن، وكما استفاد المستثمرون من كل بقعة من مناخ الأمن والرخاء الذي تتمتع به المملكة فقدموا باستثماراتهم النافعة والضارة، استفدنا من مناخ الإنسانية، ومن فكر قادتها، فأطلقنا «حملة الأمير سلطان بن عبد العزيز للرعاية الاجتماعية والتثقيف الصحي والتأهيلي» مشيدين في قلوب الضعفاء صروح التأهيل والعون والمساندة، وخاطبنا الفقراء بلغة العون المستلهمة من سياسة دولة، وفكر قادة.

هذه السياسة وهذا الفكر، هما من قاد خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز لزيارة الأحياء الفقيرة في مدينة الرياض، كأفضل مؤشر إيجابي باتجاه القضاء على هذه الظاهرة التي أكد في أكثر من مقام أنها همه وهم حكومته، وهي على

المستوى العربي تعتبر سابقة في إعلان الحرب على الفقر، وفق إستراتيجية تقوم على بيانات ومعلومات تفصيلية، حول الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والصحية والتعليمية في المملكة العربية السعودية، خاصة بعدما ثبت الترابط الوثيق بين التعليم والفقر، في عملية تناسب عكسي كشفتها للمنظومة العربية الأوضاع المغربية بشكل خاص.

لقد تبنت الحملة فكر قائد ودولة، وبأسلوب التميز الذي تنتهجه الحملة من فكر سلطان بن عبد العزيز، فأكدنا عملا وإعلاما أن مكافحة الفقر تبدأ بتناول عناصر التنمية الأساسية الاقتصادية والاجتماعية والصحية والتعليمية، وفق معطيات معالجة فجوة الفقر من خلال رفع الأداء التنموي لهذه المعايير والعناصر، بل وطرحنا باسم الحملة مواصفات الإستراتيجية الأفضل على سبيل المساهمة في فكر القادة والدولة والتي تمثلت في: سد الفجوة المناطقية وقطع الشريط الحاجز بين الحضرية والقروية، وخلق النظام الإداري القادر على التعامل بشفافية، و المساواة وعدم التمييز على مستوى الوظائف والخدمات، وتعزيز برامج تدريبية

مؤهلة قادرة على قيادة المجتمعات إلى معطيات الأداء التنموي وشاملة لبرامج التدريب وإعادة التدريب، و دعم التعليم وتشجيعه وفتح آفاقه مع التركيز على العلوم المهنية والتقنية، و عدم الاعتماد على الثروات القابلة للزوال أو النفاذ وإيجاد بدائل تنموية قادرة على توفير ذات المردود الاقتصادي التنموي المقابل لهذه الثروات، و قيام أنظمة تأمينات شاملة خاصة في المجال الصحي ومجال البطالة ومراقبة أدوات تفعيلها، والتزام حكومي مجتمعي باستئصال شأفة الفقر وترجمته إلى حقائق وبرامج اقتصادية وتنموية على المستوى الحكومي ومستوى القطاع الخاص، وتوفير معايير حقوقية اقتصادية واجتماعية وصحية وثقافية وتعليمية يقاس من خلالها مدى تخطي مستوى خط الفقر من عدمه، و تفعيل مشاركة منظمات المجتمع المدني المعنية بهذه القضايا ودعم مشاريعها في هذا الاتجاه، و تناسب الخطط والاستراتيجيات الموضوعة لهذه الغاية مع واقع الفقر وإمكانيات الدول بحيث لا يبالغ في طرحها ولا يتجاهل في نواحيها، وتفعيل أنظمة الرعاية الاجتماعية التي تسن بموجبها قوانين

ودساتير الدول والمواثيق والمعاهدات والعقود الدولية بهذا الشأن، و مراعاة صياغة استراتيجيات طويلة الأمد ذات تأثير قوي وفاعل على المناخ الاقتصادي، وأخيرا تنفيذ وتقييم وإعادة تقييم المشروعات المتعلقة بمكافحة الفقر، وإجراء التعديلات الإستراتيجية المناسبة بحيث تتلاءم هذه المشاريع مع مقتضيات وظروف واقع المنطقة وأحوال الفقراء.

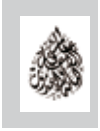

وبهذا اتحدت رؤية الحملة من مدرسة سلطان بن عبد العزيز مع رؤية القيادة من مدرسة خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز.

حوار الأفعال .. مع صناع القرار

من قصر بعبدا وجه العماد إيميل لحود رسالته التالية للحملة: «لقد اطلعت بكثير من العناية على الرسالة التي رغبتم في توجيهها إلي، وقد شئتم أن تتضمن عصارة تجربتكم الإنسانية في خدمة قضايا الإعاقة ورعاية شؤون المسنين، كما تصفحت باهتمام العدد الخاص من مجلة «عالم الإعاقة.. منبر الأقوياء» مطالعاً ما تضمنته من آراء وأفكار.. إنني إذ أثني على جهودكم المتواصلة ومسيرتكم الدؤوبة في مقاربة الوجع الإنساني عند ذوي الحاجات من أهلنا وأبنائنا، مُلهمين لأجل ذلك بصوت الواجب الذي فيكم، أشد على يدكم من أجل مواصلة نهجكم بثبات وجهد متلازمين، لأنه بذلك وحده تتكامل دائرة العطاء، ويثبت العزم وتتلاءم الإرادة والفعل... وإنني إذ أشدد على ذلك، فللتأكيد على مدى حاجة عالمنا العربي على وجه التحديد، والعالم بأسره على وجه العموم إلى شهود يبنون فيه عالياً مداميك البذل والعطاء دون منة على اسم الإنسانية، وإني أسأله تعالى لكم ولمؤسستكم التوفيق، واستدامة التقدم والعطاء.. مع

موفور الثناء ومشاعر الاعتزاز».

عندما أصدر الرئيس السوري بشار الأسد مرسوما تشريعيا بالإعفاء الجمركي لسيارات ذوي الاحتياجات الخاصة، تجسيدا للنظرة الإنسانية للرئيس بشار الأسد لما يفسحه هذا المرسوم من مجال أمام شريحة ذوي الاحتياجات الخاصة من القادرين على قيادة سيارة، بمواصفات خاصة، لاقتناء سيارات خاصة بهم معفاة من الرسوم الجمركية والضرائب والعمولات والرسوم الأخرى.. وصلتنا رسالة من المهندسة سامية السيد من الجمهورية العربية السورية تعبر فيها عن شكرها وامتنانها للرئيس بشار الأسد على هذه المكرمة التي جاءت استجابة حقيقية لمطالب ذوي الاحتياجات الخاصة، التي قادتها الحملة في كافة الدول العربية والإسلامية!!... وعندما بحثنا بعد هذه الرسالة عن جذور إنجازنا، وجدنا أن الحملة التي يرعاها المؤسس الأمير سلطان بن عبد العزيز آل سعود –يحفظه الله – قد وجهت خطابا إلى فخامة الرئيس السوري بشار الأسد، بخصوص تسهيل مهمة ذوي الاحتياجات الخاصة في الحصول على إعفاء جمركي على سياراتهم، وخص الخطاب المهندسة سامية السيد للحصول على سيارة

مجهزة لذوي الاحتياجات الخاصة.

إِني هنا لا أدعي أن خطابنا هو صانع القرار، فالقرار الإِنساني التاريخي هذا يسجل لفخامة الرئيس السوري بامتياز، ولكننا نشير في هذا المقام إِلى جذور اهتمامنا بكل احتياجات الضعفاء، وذوي الحاجة، ووصولها إِلى كافة المواقع، لتشكل رؤية على مائدتهم الإِنسانية، عادة ما تعود بالخير والفائدة.. هذا هو مشروع سلطان للسائلين عنه!!

في مقابلة عملية بالدرجة الأولى حرص الأمير رعد بن زيد كبير أمناء الملك عبدالله الثاني بن الحسين في المملكة الأردنية الهاشمية، على تعبير شدني كثيرا يتمركز حول عالمية الحملة، وعالمية فكر صاحبها الأمير سلطان بن عبد العزيز وعلى انعكاس كل ذلك على التجربة السعودية.. وكان إِصرار سموه على مصطلح العالمية بطريقة ملفتة، لدرجة أنني صرت في حيرة حول توجه الحملة هل هو سعودي نحو العالم أم عالمي بفكر سعودي؟!.. وإِن قاد كلاهما لنفس النتيجة فإِن الفرق عندي محله تقدير الإِنجاز.

وفي سجل زيارتنا ما يؤكد كل ذلك، بل ويوثقه،

فها هو الأمير سعود بن عبدالله بن ثنيان آل سعود رئيس الهيئة الملكية للجبيل وينبع، يلتقينا في مقر الهيئة بالرياض بعد نجاح مشروع تثقيف أهالي ذوي الاحتياجات الخاصة بمدينة الجبيل، الذي ساندته الحملة بمعنى المساندة الكاملة، يقول لوفد الحملة بلغة الشاكر:

«إن المشروع التثقيفي الإنساني الذي أقامته الحملة بمدينة الجبيل هو ضرورة محلية، وواجب إنساني ووطني، وأن الهيئة الملكية بالجبيل قدمت كل دعمها لهذا المشروع الذي أخذ أصداء واسعة، لثقتها المطلقة وإيمانها العميق بالفائدة التي سيحققها هذا المشروع، الذي يسير بنهج سلطان الإنسانية والخير».

عندما غادر د. فانن المملكة العربية السعودية، وهو أحد الأطباء العاملين متوجها إلى الولايات المتحدة الأمريكية، ليستقر هناك بعد رحلة عمل دؤوبة في المركز المشترك لبحوث الأطراف الاصطناعية والأجهزة التعويضية وبرامج تأهيل المعوقين ومشاريع حملة الأمير سلطان بن عبد العزيز للرعاية الاجتماعية والتثقيف الصحي والتأهيلي كتب في رسالة وجهها

للحملة يقول:

«إنني فخور جداً بالمملكة العربية السعودية، وفخور بشكل خاص، بالحملة ولعل ما يزيدني فخراً أنني كنت خلال حقبة من الزمن، ممن حظي بشرف الانضمام إلى أسرتها، فقد عرفت فيها كيف يكون التفافي في الإنسانية علماً وعملاً لأجل الضعفاء، وعرفت كيف ترعى الدولة والقائمون عليها شؤون أبنائها، إنني أغادر أرض المملكة اليوم، وأنا أرى المركز المشترك ينمو ويتطور بجهود العاملين فيه، وإن نسيت فلن أنسى أني كنت أعمل في مركز عرفت به سلطان الأمير الإنسان، وسأحدث كل من أقابلهم، بل وسأحدث أولادي عما رأيته ولمسته هنا في السعودية، إنني اعتبر الحملة شهادة عالمية على ريادة حكومية المملكة العربية السعودية في مجال رعاية وتأهيل المعوقين، وهي سفارة إنسانية حقيقية باسم حكومة المملكة العربية السعودية، وباسم المؤسس الراعي الأمير سلطان بن عبدالعزيز إلى العالم أجمعه، فهي التي حولت تكنولوجيا التأهيل ونشر التعليم التأهيلي وثقافة التأهيل بشكل عام إلى واقع ملموس، وطوعت

كل هذه الإمكانيات العلمية والعملية لمساعدة المعاقين من مختلف الجنسيات، و ساهمت في مساندة حقوق المعوقين على مستوى العالم.

للحقيقة أقول أن المركز المشترك قدم من خلال الحملة وعبر معرفتي من خلال العمل، الذروة القصوى في المساعدة الطبية والاجتماعية والتعليمية والمادية والإنسانية بشكل عام، على ما لمست طيلة فترة عملي هناك.. إنني أغادر بعد عشر سنوات قضيتها في مشاريع وبرامج الحملة، تعلمت فيها الكثير من الدروس في الإنسانية والعطاء والبذل والمشاركة، وعرفت كيف يكون التفاني واجباً، وإني أعبر عن اعتزازي بكل الفريق الذي كنت أعمل معه، واعتزازي بالمملكة العربية السعودية التي حظيت بنعمة الأمن والأمان على أرضها التي كانت وطناً لي ولعائلتي طيلة هذه الفترة».

نعم، لقد فهم القاصي والداني مرامي الحملة على اختلاف مواقعهم، فالمسيرة أكبر من تصور حملة إغاثة، أو موقف انفعالي لحظي.. كما أدرك الجميع أن الحملة تسير بنهج وفكر سلطان بن عبد العزيز بغير

منة، وهذه سمة أخرى من سمات مشروعنا.. وأعود لأقول الأصعب!

سرّي ... ولكن ليس للغاية !!

يدفعني هذا الكتاب أن أبوح بسر من الأسرار الداخلية في علائق الحملة النبيلة، وقد يكون سرا لأنه يكشف صور التواصل الداخلي في قلب الحملة، أو لمعرفتي أن صاحبه لا يحب الإعلام، ويعمل بصمت حقيقي، متفانيا دون أن تشغفه الكاميرات، أو صدور الصحف، أو يدفعه دافع أيا كان ليمضي في احتفالية تضاء فيها أنوار الكاميرات بابتسامات المجاملة أو الإنجاز، وأؤكد أني هكذا عرفته، صاحب مبدأ في هذا الاتجاه، لا يغيره عنه إغراء السلطة أو المال!!

ففي ذاكرة تجبر خفقان القلب والوريد أن يستذكر العمل بصمته الذي أمضى عمره فيه في مدرسة سلطان الخير، يعمل في ظلال سموه ويحمل فكرا إنسانيا استمده من إنسانية سلطان الخير، مع خصوصية رفعة تعامله وصدقه في ذات الوقت، وهو للحقيقة مدرسة في دبلوماسية الإنسانية، تحت اسم عبد المحسن بن عبد الرحمن المحيسن.. وذكره عندي في هذا الكتاب ليس على سبيل المجاملة أو إثبات أمر، لكنه على سبيل التأكيد أن الحملة عنوان واحد، تختلف فيه الأسماء

ويبقى نهج سلطان الخير فيه، على ملامح كل الوجوه، وإذا أردت حصر أسماء رجالات الحملة في مواقفهم لما كفاني عشرات المؤلفات بحجم هذا الكتاب.. حيث ضفة النبل والعطاء بصمت تحمل د. ناصر بن إبراهيم الرشيد، و ناصر بن حمود الطريقي، و عبدالرحمن بن عبدالعزيز الفهد، و عبدالله بن فهد الكريديس، و سعد بن فهد الوعلان، و مشاري الوعلان، و عبدالله بن سليمان الخريف، وعلى ضفة أخرى تحمل مواقف لا تنسى لحمد بن عبدالعزيز الجميح، و عبد المحسن بن عبد اللطيف العيسى، و عبدالكريم بن عبدالعزيز الجاسر، و سعود بن أحمد الحمين، و محمد بن عثمان أبو حيمد، و محمد عبد اللطيف جميل.. ومع حفظ الألقاب للجميع، فإنهم يتقاسمون صفحات تاريخ الحملة، والتاريخ ينصف الجميع!!

لقد فاجأني يوما سفير دولة قطر الشقيقة لدى المملكة العربية السعودية بما يملكه من المعلومات الضخمة عن الحملة، ومشاريع الحملة، بل أن ذاكرته حول أدبياتنا كانت بكل صدق أكبر أو أكثر تخزينا من ذاكرتي الشخصية، وهو يستعرض لي الدور الطليعي

للحملة، برعاية مباركة من لدن المؤسس الراعي الأمير سلطان بن عبد العزيز، في خدمة المحتاجين في مجال الإعاقة والتأهيل، ويعرب عن تقديره للجهود الطبية التي تقدمها الحملة في هذا المجال، معتبرا هذه المنظومة المتكاملة من خدمات الرعاية الاجتماعية التي تتبناها الحملة هي خدمة إنسانية يسأل للقائمين عليها أجزل الثواب، وكل التوفيق... وهذه ليست المرة الأولى في التاريخ التي يحفظ غيرنا تاريخنا أكثر منا!!

بين المسؤوليتين .. اللهم اشهد
أني قد أديت

نعم لما هذا الكتاب؟.. هو سطور جديدة من أدبيات محمد الطريقي في مسيرته العلمية والعملية ضمن مشاريع «حملة الأمير سلطان بن عبد العزيز للرعاية الاجتماعية والتثقيف الصحي والتأهيلي».. سيقول قائل.

وسيقول آخر: هو مشاعر جياشة عاطفية للأمير سلطان بن عبد العزيز الذي قدم الكثير للطريقي في مسيرته..

وسيفيد آخر: إنه محاولة أخرى لتوثيق سيرة الطريقي الشخصية والتي يتناولها في هذا الكتاب من جانب سلطان..

وسيعترض آخر قائلا: لا، إن هذا الكتاب تفريج عن النفس، وترويح عن ذاكرة مؤلمة في نهاياتها، لكنها على أية حال تزخر بالإنجاز، ولا فرح فيها إلا لما يجمع الطريقي بأميره المحبوب، ومعلمه وملهمه الأمير سلطان بن عبد العزيز.

لكل هؤلاء ولمن لديه تأويل آخر أقول: هذا المؤلف الأشبه برواية غير منتظمة الأفكار، وتفتقر لكافة العناصر الفنية، هو رد فضل لفكر سلطان، وتوثيق

لكل ما قمت به بتوجيه الأمير الإنسان، وهو في ذات الوقت تأريخ لمشاريع من وحي فكره، له فيها عضد المساندة والدعم اللامحدود، وأما متعلقاتها فقد كانت ضريبة الاجتهاد في كل مراحله، وهي ضريبة دفعها قبلي الكثيرون، إلا أنهم وجدوا الصراخ من هول النهاية سبيلا للبكاء على أطلال الإنجازات، في حين وجدت أن الاعتراف بالفضل تعبير بحد ذاته عن كل شيء، فأنا بدأت وانتهيت بسلطان.. هذه حقيقة لن تمحوها ذاكرة، ولن تغيبها السنون.

في هذا الكتاب أحاول أن أطوي صفحة مضت، واستقبل أملا بأن تطوى، وبكم يا أمير الخير تنصع الصفحات القادمة، بنهجكم.. بمدرستكم.. بفكركم.. بكل رؤية من نهجكم.. لا مفر من المسؤولية إلا إلى المسؤولية.

إليك لا إلى غيرك يا أمير الإنسانية..هذا اعتراف وفاء، نقي بنقاء عطائك، وفي بوفائك لرجالاتك، طاهر بطهارة نيتكم، واضح بوضوح توجيهاتكم الداعمة بما وصل منها وما لم يصل، راسخ برسوخ العهود التي قطعتها على نفسي وفاء لنهجكم شابتها التأويلات أم

عجزت، وبعد كل هذا هو لسموكم شهادة خير من كل الأصوات، وفي كل المشاهد، خالصة بنية الدعاء في موازين حسناتكم برا بتقوى.

يقولون لسلطان الخير اليوم: حمدا الله على السلامة، وأنا أقول حمدا لله على السلامة وعلى كل شيء..